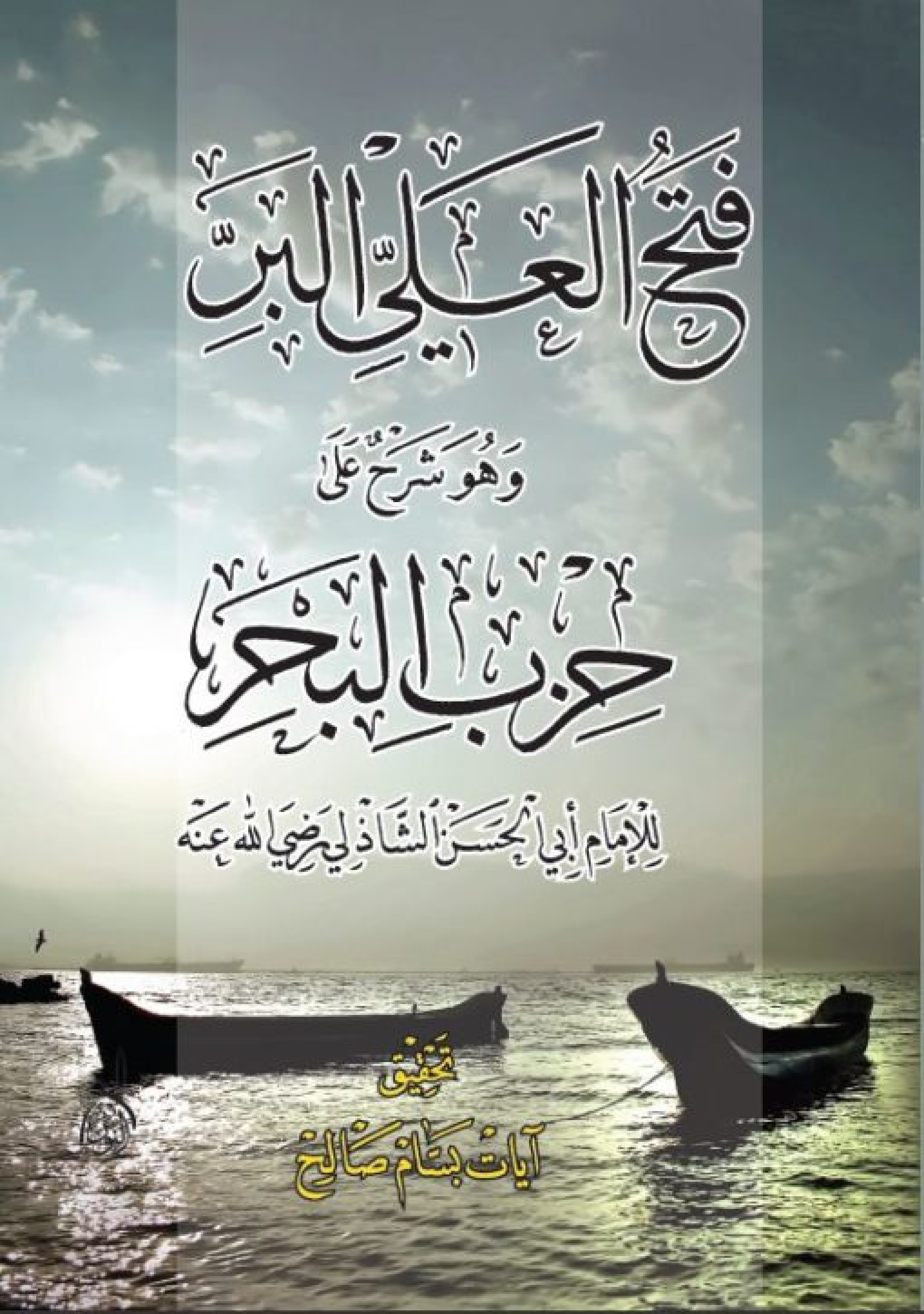

فتح العلي البر
وهو شرح على
حزب البحر
للإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
تحقيق
آيات بسام صالح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شرح حزب البحر للأزميري[١]

الحمد لله الذي جعل أحزاب العلماء العارفين حرزاً في البر وفي البحر لعباده الموقنين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هو سراج الأنبياء وتاج المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الذين هم منهاج أئمة اليقين ونجوم علماء الدين . وبعد :

فيقول الفقير إلى الغني القدير أحمد بن عمر الداعي بالأزميري عفا عنهما العلي : لما كان الحزب الجليل والجرد الجميل لإمامنا الكامل الجلي الشيخ أبي الحسن الشاذلي أغرق في بحار رحمة الملك العالي في البكرة والعشي ، نافعاً لكل عليل ورافعاً لكل رذيل وعزاً لكل ذليل ، لم ير مثله في الأوراد في سرعة التأثير والإجابة في الأقطار ،=

---

[١] أحمد بن عمر بن أيوب الأزميري الرومي الواعظ الحنفي المتوفي في حدود سنة / ١١٨٠هـ ـ ١٧٦٦م/ .

صنف الفتح الأكرم في شرح حزب الأعظم ـ الفتح القوي لشرح حزب النووي

فتح المولى لشرح حزب المرضى .

ممدد الغابرين لما فيه إمداد السالكني في شرح آداب طاشكيري زاده .

نهاية المقال في مباحث الجمال

ج ٥ ص١٧٧ هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين من كشف الظنون مؤلفه إسماعيل باشا البغدادي .

. . . .

وهو ظاهر الأسرار وباهر الآثار ، وطالع الأنوار في الليل والنهار ، وكان في البر والبحار وسيلةً للسائلين ، سلماً للطالبين ، ملجأً للهاربين ، نسيماً للراكبين ، أمناً للخائفين ، سدّاً للطاغين ، جنة للقاصدين ، رمحاً للمعاندين ، سيفاً للحاسدين ، رغماً الشامتين ، نطقاً للصامتين ، صمتاً للناطقين ، نصرة للمغلوبين ، قوة للمكروبين ، خليفة للسائرين ، صاحباً للمسافرين ، عناية للمعندين ، كفاية للمستفيدين ، غياثاً للمستغيثين ، عياذاً للمستعيذين ، تنبيهاً للغافلين ، وعورات تكشف قناع البليات ، قربات تقرب من رب الأرضين والسموات ، بل هو مفتاح لخزائن كل كمال وقفل لأبواب الضلال ، كنز لكل مراد ، قناعة للزهاد ذخر للمعاد ، سفينة للنجاة يوم التناد ، كل من استظل بظلال أسمائه وأسراره ومعانيه تنادي السن ساعيه ببلوغ أمانيه ، وكل من لاذ به فقد لاذ بالحصن الحصين وأوى إلى الركن الشديد ومقام أمين ، ومع هذا قد شرحه المتبحرون واقتفى بأسرهم المقلدون ، لكن لم يشتهر منها ما يروي الجنان .

التمس مني بعض الإخوان زاد كمالاتهم الملك المنان ، أن أكتب عليه نبذة من الفرائد مع بيان الفوائد ، وتحرير القواعد مشتملاً على الشواهد ، مرصعاً بالقلائد عارياً عن الزوائد ، والله ولي التوفيق والإمداد فهو الهادي إلى سبيل الرشاد ، وعليه التوكل والاعتماد ومنه التوفيق في المبدأ والمعاد ، فهو حسبي من جميع الآحاد وأفوض إلى الله إن الله بصير بالعباد .

ولما تم بحمد الله الأكبر سميته : « **فتح العلي البرّ شرح حزب**

. . . .

البحر » ، جعله الله ذخراً عاجلاً في الدنيا وخيراً آجلاً في العقبى ، وذريعة إلى جنة المأوى ووسيلة إلى رحمة الملك الأعلى ، وأرجو لحسن السابقة والختام أن ينفع به على الدوام ، مع الرضاء حتى دار السلام .

ثم إن شيخنا الجامع بين العلم والكمال الواصل بفيض الله المتعال ، كان مولده بغمارة قريباً من سبتة ، سنة خمسمائة وواحد وسبعين ، ثم انتقل إلى شاذلة ـ وهي قرية من أعمال إفريقية ـ ودخل مدينة تونس ثم إلى الديار المصرية والعراق ، قال الشيخ : يا رب لم سميتني الشاذلي ولست بشاذلي ؟ فقيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي إنما أنت الشَّاذُّ لِي ـ بتشديد الذال المعجمة ـ يعني المنفرد لخدمتي ومحبتي . ثم حج كثيراً ، وفي سفر آخر حج توفي رحمه الله ، فلما كان ليلة وفاته جمع أصحابه في تلك العشية وأوصاهم بأشياء كثيرة ، وبحزب البحر ، وقال لهم : حفّظوه لأولادكم فإن فيه اسم الله الأعظم ، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة في عيذاب في أقصى الصعيد الأعلى بناحية القصير ، الذي هو ساحل البحر اليمن ، دفن بحميثرة ـ وهو الموضع الذي بصحراء عيذاب ـ كذا في تعطير الأنفاس .

ثم روي عن الشيخ صاحب هذا الحزب قال حالفاً بالله : هذا الدعاء قد ألهم إليَّ من قبل رسول الله ﷺ بطريق الاستفاضة الروحانية ، وروي عن بعض العارفين أن له سبعة عشر حزباً ، وأشهرها : الحزب الكبير ، وسمي حزب البر ، أوله : (وإذ جاءك) الآية . قال

. . . .

= الشيخ الشاذلي : من حفظ حزبنا الكبير كان له ما لنا وعليه ما علينا .

وحزب البحر سمي به لأنه وضع في البحر وللسلامة فيه حين سافر في بحر القلزم ، فحبس عليهم الريح أياماً ، فرأى النبي ﷺ في مبشرة فلقنه إياه ، فقرأه فجاء الريح . والمفهوم من كلام البعض أنه في بحر النيل ، ويحتمل تعدد القضية فلا مانع من الجمع .

وسمي هذا الحزب أيضاً بالحزب الصغير للمقابلة ولقلة كلماته بالنسبة إلى الكبير ، وعن الشيخ الشاذلي إنه قال : إن حزبي لو قرىء في مكان إلا كان آمناً من الآفات ، ولو ذكر حزبي في بغداد لما أخذت ، وفي ذكره لأهل الله آيات وأسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية ، ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله دعوته وفرج كربه ، ورفع بين الناس قدره وشرح بالتوحيد قدره وصدره ، وسهل أمره وكفاه عن شتى الأنس والجن ، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ، وإذا قرأه عند جبار أمن من شره ، ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله عن خلقه ، وآمنه من حوادث الدهر ، ويسر عليه أبواب السعادة في جميع حركاته وسكناته ، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته في القلوب .

وقيل : من كتبه على شيء تلك الساعة وجعل المكتوب معه ، أمن من جميع البلاء وكان محفوظاً بحول الله ، ومن استدام على قراءته لا يموت غريقاً ولا حريقاً ، ومن كتب على سور مدينة أو حائط دار دائرة عليها حرسها الله من شر طوارق الحوادث والآفات ، وله منفعة جليلة في الحروب ، ومن وضعه في رَقّ طاهر والمرّيخ في

. . . .

= شرفه ، أو في الساعة الأولى في يوم السبت والقمر زائد النور ، يجمع همته ويحسن حاله ، شاهد من بديع سر الله ما يقصر به الألسنة ، وهو دعاء النصر والغلبة على الخصوم ، وخواصه كثيرة كما في أسامي الكتب .

وقال في الشرح العتيق : إن أحداً من أهل السفينة إذا قرأه عند الاحتياج إلى الريح أرسل الله تعالى عليهم الريح موافقاً لجهتهم ، والبيت الذي حفظ فيه الدعاء صار أميناً من السرقة وشر الجنِ ونزول الصاعقة بإذن الله تعالى ، ومن كتبه على شيء من ماله وعَلَّقه عليه كان ذلك مصوناً من جميع البلايا .

وحكي أن قافلة مرت ببادية ، وظهرت لهم جيفة من بعيد ، والوحوش يحومون حوله ولا يجرؤون على أكلها ، فتعجبوا منها ، فأرسلوا أحداً إليها ، فلما قرب إليها رأى عليها لوحاً معلقاً قد نقش عليه هذا الدعاء ، فأخذ ذلك اللوح وذهب ، ولما بَعُدَ أتى أحدٌ تلك الوحوش ونشرها ولقم لقمة ، فلما رأى أهل القافلة تلك الحالة تعجبوا منه وتحيروا في عظمة الله وحكمته . انتهى .

والحاصل : بركات هذا الحزب وأسراره ظاهرة وباطنة ، لا يخفى لكل أحد من المواظبين ، وقد قيل : ما رأيت أحداً حافظ عليه إلا وعنده خيرات ظاهرة ، وقد أخذه أهل البصائر كابراً عن كابر ، من داوم عليه نوّر الله قلبه بنور الولايات ، وشرح صدره بآثار الهدايات ، ويسر عليه أبواب الخيرات وثبته على الطاعات ، ونزّه فكره عن رذائل الشهوات ، ولا يسأل الله به شيئاً إلا أعطاه ، فليتق الله فاعله عما لا

. . . .

= يرضاه ، فلا تكن من أصحاب الغفلة والهوى فإنه شريك العمى .

قيل : ثم المراعات بآداب الدعاء أفعالاً وأحوالاً أمكنة وأحياناً سبب لسرعة الإجابة ، كطهارة المكان والفم وإزالة تغيّره بالمسواك ، والوضوء واستقبال القبلة ، والتصحيح والتأني والتدبر لما يقول والتعقيل لمعناه ، وأعظمها الأكل والشرب واللبس من الحلال ، والجثو على الركب والإخلاص لله ، والخشوع والخضوع مع الجد والاجتهاد وحضور قلب وحسن الرجاء والإلحاح ، ولا يستعمل في ظهور آثار الإجابة .

ولا يقصد في قراءته قطيعة رحم ولا بشيء هو إثم ، كقصد هلاك أحد من الأقارب والأباعد وهم غير مستحقين شرعاً ، ولا يقرأ لما هو وسيلة إلى الحرمات ، كطلب القضاء والولاية كما هو عادة أصحاب المناصب ، وسيأتي بعض ما يتعلق .

وقد قال شيخنا المؤلف : كل اسم تستدعي به نعمة أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات وعن التوحيد بالصفات ، وهذا لأهل المراتب والمقامات ، وأما عوام المؤمنين فهم عن ذلك معزولون ، وإلى حدودهم يرجعون ، ومن أجورهم من الله لا يحتسبون .

وكالأوقات المباركة كرمضان وليلة القدر ويوم عرفة ويوم الجمعة وليلتها ، ووقت السحر ، وعند الصف في سبيل الله ، ودبر الصلاة المكتوبة وغيرها ، والأمكنة المتبركة كالمساجد الثلاث وحواليها ، وعند قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصالحين رحمهم الله بشروط مقررة في الشروع ، والحمد لله الذي وفقنا للزيارات

. . . .

- والدعوات والتحريرات في المقامات المباركة الطيبات ، ونسأله التوفيق بحسن القبول في سائر الحالات .

ثم قيل : هذا الحزب اعتصام وهو ما يبدأ به عند الشروع والاختتام ، وهو ما يقرأ به بعد تمام الحزب ، لكن (يحتمل من المص) ومن ملحقاته المشايخ ، وسيجيء وجهه ، والأول بعد البسملة .

قوله : وبه أي : بالله أو باسم الله وبركاته وتوفيقه وعونه ، الحول أي : التحول والرجوع ظاهراً وباطناً من الخلق إلى الحق ، والقوة أي : القوة الظاهرة والباطنية على وصول الحق ، أي الأمور كلها بيده أرجع من أمري إلى أمره ، وأتَقَوّى على جميع أموري بذكره وفكره ، ففيه تجريد عن الخلائق ، ثم التوجه إلى الموفق للحقائق ، سلمنا الله تعالى عن جميع المضائق والعوائق .

ربِّ والنداء محذوف أي : مالكي ومربيّ بإسباغ نعمه وجزيل كرمه ، سهّل ويسّر ـ من التفعيل أي عطف تفسير ، أو المراد بالثاني ما يوجب اليسرى ، وحذف المفعول للتعميم ـ أي : أمور الدنيا وأمور الآخرة ، أو بقضاء جميع الحاجات المرضية عندك ، بتصحيح الحال وتحسين المال ، أو تسهيل العبادات وبتيسير المرادات .

وحاصله : أسألك اليسر في الدنيا والآخرة ، زاد قوله : ولا تعسر طلباً للكمال علينا وعلى جماعة المسلمين وإخوان الدين ، أي : لا تعسر كل ما يوجب رضاك من العبادات والدعوات وحسن العادات على أهلي واتباعي وأصحابي وأحبابي يا ميسر كل عسير ـ بنصب

. . . .

المنادي لإضافته ـ أي : كل أمر شان صعب شديد عند الخلق فإن ذلك عليك يسير ، فهو أجمع إلى التوحيد ، أي : لا ميسر لشيء من الأمور في الدارين إلا الله بحق ا ب ت ث . . . الخ .

والمشهور يقرأ بالأسماء ، وقيل : بالمسمى ، والمراد من ذكر هذه الحروف : إما إيماء إلى الحق ، المطالب الحسنة ، وقيل : إشارة إلى الملائكة ، ويحتمل أسماء الأنبياء عليهم السلام ، والأقرب : إشارة إلى أسماء الله تعالى يتبرك ويتوكل إلى قبول الدعوات وقضاء الحاجات ، وكل اسم لا يخلو من هذه الحروف ، مثلاً الألف : الله الأحد الأول الآخر ، وبوجه آخر أكرم الأكرمين أرحم الراحمين أكرم الأكرمين أحكم الحاكمين أحسن الخالقين ، إليهم الأخذ أهل التقوى وأهل المغفرة أعز وأقل وغير ذلك ، والباء : إيماء إلى باء الباسط البديع الباعث البر الباقي الباطن ، التاء : التواب ، الجيم : جبار جليل جميل جواد جامع ، الحاء : إشارة إلى حي حكيم حميد حليم حق حسيب حفيظ ، الخاء : خالق خبير خافض ، الدال : دائم ديان ، الذال : ذو الجلال والإكرام ، الراء : رحمن رحيم رب رافع رقيب رزاق رشيد ، الزاي : زكي ، السين : سلام سبوح سميع ، الشين : شاهد شكور شديد العقاب ، الصاد : صمد صبور صادق ، الضاد : ضار ، الطاء : طاهر ، الظاء : ظاهر ، العين : عزيز علي عدل عليم عظيم عفو ، الغين : غني غفار غفور غالب ، الفاء : فرد فتاح ، القاف : قيوم قهار قادر قوي قدوس قدير قابض قريب قائم على كل نفس بما كسبت قديم ، الكاف : كريم كبير كفيل ، اللام :

بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

= لطيف ، الميم : ملك مؤمن مهيمن متكبر مصور ماجد مقتدر مقدم مؤخر معز مذل مقيت مجيب متين محصي مبتدىء معيد محيي مميت متعال منتقم مالك الملك مقسط مغني معطي مانع مبين ، النون : نور نافع ، الواو : وارث وهاب ، الهاء : الهادي ، أو غير ذلك والله تعالى أعلم .

ثم يهلل ثلاثاً ، ثم يستغفر ثلاثاً ، ثم يكبر تكبير التشريق ثلاثاً ، ثم يصلي على النبي ﷺ عشر مرات ، ثم ينوي بخفيّ المقاصد مما أراد ، ويرفع يديه مع الفاتحة ثم يمسح وجهه . وفي الفتح بالفاتحة فتوحات إلهية ونيل بمرادات بهية . ثم يشرع في قراءة الحزب كذا قيل . وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن : الحزب الكبير بعد صلاة الصبح ، وحزب البحر بعد العصر ، هكذا بيّنهما أبو العباس المرسي لأصحابه ، كما في تعطير الأنفاس . هذا بيان الأفضلية والأولى ، وإلا في القراءة ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً واحداً وكثيراً ، ومن فاته في النهار يقرأ في الليل وبالعكس بحسب مساعدة الإمكان ، هكذا سائر الوظائف كما قالوا ، قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ ﴾ الآية . لكن يواظب ولا يتركه وفيه خطر . قال الشيخ :

« بِسْمِ اللهِ » مستعيناً ومتبركاً باسمه تعالى في الأمور الحسنة ، سيما التأليف والقراءة وعملاً بالطريقة القويمة والسنة القديمة ، ففيه إيماء إلى الاستعانة في الشروع في الدعوات بحصول الحاجات .

« الرَّحْمَنِ » المنعم الحقيقي تام الرحمة عام الإحسان ، ولذا لا يطلق على غيره ، أو بجميع خلقه في الأولى ، أو بتوفيق الدعوات .

« الرَّحِيمِ » الذي خص رحمة الخاص لعباده المؤمنين في العقبى ، أو =

. . . .

= بقبول الحاجات ، وقد بيّنا في فتح القوي شرح الحزب النووي : أنه الاسم الأعظم على وجهين : لاشتماله على اسم الجلالة وهو اسم أعظم ، أو الرحمن الرحيم وهو كذلك ، كما ذكروا عن ابن الربيع أن رجلاً قال : علمني الاسم الأعظم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أطع الله يعطيك ، ذكره السيوطي .

عن ابن عمر : من كانت له حاجة إلى الله فليصم الأربعاء والخميس والجمعة فإذا كان يوم الجمعة تطهّر وراح إلى الجمعة ، فتصدق قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ ما بين الرغيفين فصاعداً ، فإذا صلى الجمعة قال : اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، وأسألك باسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأبصار ، ووجلت منه القلوب ، وذرفت منه العيون ، أن تصلي على سيدنا محمد ﷺ ، وأن تعطني حاجتي وهي كذا وكذا . وقال : لا تعلموه السفهاء ، وذكره الإمام اليافعي .

وصلى الله صلاة تليق لقدره وكماله ، أسند إليه تعالى : لأن صلاته كاملة دائمة شاملة ، ولم يذكر الحمد : إما لدخوله في البسملة على ما قيل ، أو الاكتفاء بذكر اللسان ، أو بالمؤخر ، وإيثار الأخبار تفاؤلاً للقبول ، كأنه متحقق موجود فأخبر عنه .

والواو عطف على جملة الحمد المقدر ، أو التسمية على رأي ، أو ابتدائية ، أو زائدة ، على سيدنا : أي سيد المخلوقات لجميع الكمالات ، وفي إيثاره على نحو الرسول ما لا يخفى من التفخيم

. . . .

والتمليح ، وأما إطلاق لفظ الذي يشترك فيه آحاد الناس والظلمة كلفظ السلطان فغير جائز ، على ما صرح به بعض المحققين .

ومولانا أي : ناصر الأمة يكشف الكربات ، محمد ﷺ الجامع للخصال الحميدة ، أو الحامد المحمود في السماء والأرض ، وعلى آله أي اتباعه وذريته الطيبين الطاهرين ، وصحبه أي جميع من تشرف بصحبته الشريفة ، وسلَّم ـ بفتح اللام والميم ـ ماض على نهج السابق ، أي عليه وعليهم ، والحمد لله على الجمع والتأليف لقراءته والقبول والمشاهدة لأسراره وآثاره ، عطف على التصلية ، أو زائدة . وتأخير الحمد عنها تنبيه للجواز ، أو الاستغراب ، أو على أن التصلية نعمة من نعم الله ووسيلة ، رب العالمين : أي خالق الخلائق ومالكها ومدبر أمورها ومصلح أحوالها على وجه تقتضيه الحكمة وفي طريقنا هكذا ولذا ذكرنا والله أعلم ، وله الحمد الأعم ، يا الله يا الله يا الله : بدأ به لأنه مجمع الأسماء وخيرها وأصلها وأعظمها عند الأكثر ، لأنه دال على الذات الجامع لصفات الألوهية كلها ، ولأنه ممتنع اللفظ والمعنى لم يطلق المعنى على غيره ، وقال بعض العارفين : جميع أسماء الله تعالى جاءت للتخلق إلا اسم الله فإنه للتعلق فقط ، إذ مضمونه الإلهية ، وهي لا يُتَخَلَّق بها أصلاً .

وعن الشعبي : اسم الله الأعظم يا الله ، وذكر علي القاري في المواضع المتعددة : أنه اسم الأعظم عند الجمهور ، وقال القطب عبد القادر الجيلاني : إن الله هو الاسم الأعظم بشرط أن تقول الله وليس بقلبك سوى الله .

اللَّهُمَّ يَا عَلِيُّ(١) ....

= قيل هذا الاسم للعوام أجراه على اللسان ، والذكر به على الخشية والتعظيم ، وللخواص أن يتأملوا معناه ويعلموا أنه لا يطلق إلا على موجود فائض الجود جامع الصفات الإلهية ومنعوت بنعوت الربوبية ، ولخواص الخواص أن يستغرق قلبهم بالله تعالى فلا يلتفت إلى أحد سواه ، ولا يرجو ولا يخاف فيما يأتي ويذر إلا هو . وفي التصدير بالاسم الأعظم ـ الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ـ رجاء للقبول وإعطاء للمسؤول .

والتثليث : إما للتلذذ بذكره ، أو لأن لكل عبد له ثلاثة أشياء : قلب وجسد ولسان ، فعلى السالك الذكر بهذه الثلاثة ، أو لاستغراق الذكر في الأزمنة الثلاثة ، يعني : أذكرُه في أول الحال وعند الارتحال وعند دخول دار الجلال ورؤية الجمال حتى يرضى الملك المتعال .

(١) « يَا عَلِيُّ » في ملكه وسلطانه وليس فوقه شيء في الرتبة والحكم ، أو المتعال عن الصفات التي لا تليق به ، أو الرفيع الذي يعجز عنه وصف الواصفين ومعرفة العارفين ، وقيل : الذي علت عن الإدراك ذاته ، وكبرت عن التصوّر صفاته ، وقيل : الذي تاهت القلوب في جلاله وعجزت القلوب عن وصفه ، كما قال الإمام القشيري : من علوه تعالى أنه لا يصير تكبير العباد له كبيراً ولا بإجلالهم وتعظيمهم جليلاً وعظيماً ، بل من وفقه لإجلاله فبتوفيقه جلّ ، ومن أيده بتكبيره ولتعظيمه فقد رفع محلّه .

وحظ الذاكر منه : السعي إلى المراتب العلية ، ولذا ورد في =

يَا عَظِيمُ[(١)] يَا حَلِيمُ[(٢)] ....

= الحديث : إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها ، وقال علي رضي الله عنه : علوُّ الهمّة من الإيمان

(١) « يَا عَظِيمُ » في عزه وجلاله ، وهو البالغ إلى أقصى مراتب العظمة ، لا يتصوره عقل ولا يحيط بكُنْهِه فِكْر ، أو الموصوف بجميع الصفات التي تليق به ، فهما حاويان لبحر التوحيد ، ولذا ختم بها سيد آي القرآن وكنوز الجنة ، ومِن حقِّ من عرف عظمته أن لا يَذِلَّ لخلقه ، بل يكون متواضعاً لأجله

(٢) « يَا حَلِيمُ » هو الذي يعلم ذنوب العصاة ويرى مخالفتهم لأمره ونهيه ، ولا يحركه غضبه ولا يعجل في عقوبتهم مع غاية القدرة ، وإمهالُهم مع كثرة العصيان لعلّهم يتوبون دليلٌ على كمال حلمه ، وقيل : الذي لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم ، ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ، ويقيه وهو منهمك في معاصيه كما يقي البرَّ المُتَّقي ، وقد يقيه من الآفات والبليات وهو غافل لا يفكر فضلاً عن أن يدعوه ، كما يقيها الناسك الذي يدعوه ويسأله ، وفيه مناسبة لا يخفى .

ونداء العاجز الضعيف للقادر القوي نوع من الجرأة ، ولذا عقبه باسم الحليم رجاء لمعاملته بحلمه ، والسلوك في البحر العميق والجسارة إلى السؤال من العلي الكبير مع الذنب الكثير ، ثم المجاوزة سالماً والحصول لا يكون إلا عن آثار حلمه وكرمه .

والحظ منه : أن يحلم على من جنى عليه ولا ينتقم لنفسه . =

يَا عَلِيمُ[١] . . . .

= قيل : من خواصه من كتبه في ورقة ووضعه في مزرعة لا يضره الآفات بإذن الله تعالى .

(١) « يَا عَلِيمُ » بما في صدور الأحِبَّاء وقلوب الأعداء ، وجميع المعلومات ظاهرها وباطنها رقيقها وجليّها كلياتها وجزئياتها .

وحظ السالك منه : من عرف أنه تعالى علم بحالته صبر على بليته وشكر على عطيته واستغفر عن خطيئته ، وقال بعض المحققين في آداب من حقق أن الله تعالى عالم : أن يكون مكتفياً بعلمه عند جريان حكمه ، ساكناً عن تدبير نفسه بتقديره .

ثم التخصيص من بين الأسماء إما لوروده هكذا ، أو لإفادة أنَّ إعطاء العصمة في الأشياء الآتية لا يكون إلا عن حكم وعلم تام ، بالغ إلى درجة الكمال فوق كل ذي علم وحكم لا ينال أحد في علمه وحلمه ، ونداء القريب بما ينادى به البعيد : قيل : لحرص المنادي على إقبال المدعو عليه له ، لتنزيل نفسه منزلة من يستوجب القرب لحقارة المنادي أو لعظمة المنادى ، قال الزمخشري : قول الداعي يا رب يا الله استقصار منه لنفسه وهضمه ، واستبعاده عن مظانّ القبول والاستماع ، قيل : وإن لم يتصور في حقه تعالى الإقبال مطلقاً ، لكن المراد بها غاية معناها وهي الإجابة ، كأنه قال : أجب دعائي ، وقيل : لا يحتمل النداء في حقه تعالى إلا على الدعاء والتضرع مستعملة في لازم معناه .

ثم قال بعض العارفين حالفين بالله تعالى : إن في هذا الحزب أسماء يُتمكن ببعضها من المشي على الماء وببعضها الطيران في =

. . . .

الهواء وغير ذلك ، لا شك من الاسم الأعظم ، ولذا صدر الشيخ المؤلف .

وقال الحافظ الدميري : رأيت في كتاب الدعاء للعلامة أبي بكر محمد بن الوليد بن مطرف بن عبد الله أنه قال : دخلت على المنصور فرأيته محزوناً وقد امتنع من الكلام لفقد بعض أحبته ، فقال لي : يا مطرف أحْرَقَنِي من الغم ما لا يكشفه إلا الله تعالى ، فهل من دعاء عسى يكشفه الله تعالى عني ، قلت : يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن ثابت عن عمر بن ثابت البصري قال : دخلت بعوضة في أذن رجل من أهل البصرة فأسهرته ليله ونهاره ، فقال رجل من أصحاب حسن : ادع الله بدعاء العلاء الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ الذي دعا به بالمفازة والبحر فخلصه تعالى ، قال : وما هو رحمك الله ، فقال : بعث رسول الله ﷺ العلاء الحضرمي إلى البحرين فسلكوا مفازة وعطشوا عطشاً شديداً حتى خافوا الهلاك ، فنزل وصلى ركعتين ثم قال : ياحليم ياعليم ياعلي ياعظيم اسقنا ! فجاءتهم سحابة كأنها جناح الطير فقعقعت عليهم فأمطرت حتى ملؤوا أوانيهم ، قال : ثم ارتحلنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم ولا بعده ، فلم يجد سفينة فصلى ركعتين ثم قال : ياحليم ياعليم يا علي ياعظيم أجزنا ، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال : جز بنا باسم الله ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر ، وكان الجيش أربعة آلاف ، قال : فدعى الرجل بها ، فوالله ما خرجنا من عنده حتى

أَنْتَ رَبِّي(١) ....

= خرجت البعوضة من أذنه لها طنين حتى صكت الحائط فبرأ ، قال : فاستقبل القبلة ودعا المنصور بهذا الدعاء ساعة ، ثم انصرف بوجهه فقال : يا مطرف قد كشف الله من ما كنت أجده من الغم ، ودعي بطعام فأجلسني وأكلت معه .

أقول : ترتيب الشيخ موافق للدعوات والآيات ويحتمل الروايات وجواز الترتيبات ، فله الحمد على حلمه بعد علمه ، ثم خاطب تنبيهاً على قربه على وتيرة النداء فلا ينافيه فتأمل .

(١) « أَنْتَ رَبِّي » جواب للنداء ، أو معترضة ، فالجواب نسألك ، وهو الظاهر ، وفي التوسُّلِ بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال اعترافٌ بالعجز مع التحريك لسلسلة إجابته ، والرجاء لوصول الكمالات إلى أنت ربي ، فقيل : وجودي وليس وجود ربوبيتك بوجود يفقد ، كنتَ قبل أن أكون ، أنت الذي تبلغني بأنواع النعم والكرم إلى الكمال ولقاء الجمال ، أنت مصلح أموري ومهيّء معاشي ومعادي ، أو مصلح قلبي بالمعرفة ولساني بالشهادة ونفسي بالخدمة ومصلح طاعتي مع التقصير فيها بالقبول والإحسان ، ومصلح ذنوبي مع كثرتها بالعفو والغفران ، وتخصيص الربوبية بنفسه مع أنه رب بجميع المربوبيات : الاستعطاف والتوسل إليه تعالى بنعمه السابقة ، وقد ورد أنه الاسم الأعظم ، لما روي عن الخضر عليه السلام ، قيل في وجهه : إن كل اسم إذا قلب تغير معناه إلا الرب ، فإنه بعد القلب يكون بالبرّ وهو من أسماء الله تعالى ، =

وَعِلْمُكَ[١] حَسْبِي[٢] ....

= ولذا ترى كل نبي وولي يذكرونه في أول دعواتهم ، كما ورد في الدعوات القرآنية .

(١) « وَعِلْمُكَ » بحالي حسبي عن سؤالي ، يعني علمك بجميع أموري وضعفي وفقري وذلي وغمي وهو كاف لي في النصرة والفتح والمغفرة والرحمة والرزق والهداية والنجاة وفي سائر ما أحتاج إليه في الدنيا والآخرة ، ففيه استغناء بالحق عن الخلق ، أو لا فائدة في معرفة العاجز ، أستغني بعلمك أحوالي عن معرفة المخلوق ونصرته وإحسانه ، أو علمك قصدي من الدعاء وما هو خير لي .

(٢) « حَسْبِي » لأنك أرحم بنا من كل شيء فلا حاجة إلى الدعاء والطلب ، وإنما أدعوك إظهاراً للعبودية لك تخشعاً لعظمتك وتذللاً لعزتك وافتقاراً إلى ما عندك ، فاقعد لنا في جميع المصالح ، وهذا من جوامع الكلم يندرج فيه الكل ، ولذا صدره الشيخ .

فحظ السالك : أن يكتفي بعلمه تعالى عن الإعلام إلى سواه ، وأن لا يشكو إلى أحد من ضُرٍّ نزل بِهِ ، مثلاً : كما قال تعالى حاكياً عن سيدنا يعقوب صلوات الله على نبينا وعليه : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ومن قدر على الابتلاء قدر على الدفع والرفع ، وهذا مقام عزيز بل نهاية مقامات المقربين ، ألا ترى إلى قول سيدنا إبراهيم صلوات الله على نبينا وعليه آخر كلامه في أضيق حاله وشدة ابتلائه كما روي ، ولو كان أعلى منه لما اختاره الخليل عليه السلام ، ومن علم أن الله تعالى كافية لا يستوحش على إعراض الخلق عنه ثقة بأن الذي قُسِمَ له لا يفوت وإن اعرضوا عنه ، والذي =

فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي[١] وَنِعْمَ الحَسْبُ حَسْبِي[٢] ....

= لم يقسم له لا يصل إليه وإن أقبلوا عليه ، ومن اكتفى بحسن توليته الله تعالى لأحواله ، فعن قريب يُرَضِّيه مولاه بما يختار له ، فعند ذلك يؤثر العدم على الوجود والفقر على الغنى ، ويستريح إلى عدم الأسباب بمشاهدة تصرف المولى .

وخلاصة المرام في هذا الكلام : اكتفيت بعلمك عن المقال واستغنيت بجودك عن السؤال ، وعليك الاعتماد وياذا الجلال لأنك حميد غفار فلك الحمد على كل حال .

(١) « فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي » خالقي ومالكي وسيدي ومصلح أحوالي ومعبودي ومربي ظواهري بالنعمة وبواطني بالرحمة ، وهو ربَّاني مع كثرة عصياني بلا استحقاق مني ، فهو لا يخذلني ولا يضيعني ، بل لا يخلو لحظة من تربيته وإحسانه ، ولا أخلو لمحة عن مخالفته وعصيانه ، فجدير أن يمدح ويثنى عليه ، فلك الحمد على ذلك حمداً يليق بجلالك وجمالك ونوالك .

(٢) « وَنِعْمَ الحَسْبُ حَسْبِي » عن جميع حاجاتي ومسألتي ومناجاتي ، تفريع على النشر المرتب ، إلى نعم الكافي كافيّ ونعم الناصر ناصري ، إذ هو المنفرد في كفايته أمور المخلوقات ، ومن يتوكل عليه كفاه في جميع الحالات ولا يحتاج إلى أحد ، وهو منزَّه عن الزوال فلا يضيع من يكفيه ، إذ غيره تعالى من الخلق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فكيف يكفيه لغيره ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً والحمد لله حمداً كثيراً والشكر له بكرة وأصيلاً في المقام الأعلى وفي المسجد الأقصى . =

تَنْصُرُ(١) مَنْ تَشَاءُ(٢) وَأَنْتَ العَزِيزُ(٣)........................

---

* وقال إمامنا القشيري رحمه الله : كفاية للعبد أن يكفيه جميع أحواله وأشغاله ، وأصل الكفايات : أن لا يعطيه إرادة شيء فإنه سلامة عن إرادة الأشياء ، حتى لا يريد شيئاً أتمّ من قضاء الحاجة وتحقيق المأمول .

(١) « تنصر » بأنواع النصرة على الأعداء الظاهرة والباطنة المانعة من إقامة الطاعة دنيا وديناً وعقبى إذ بيدك النصرة .

(٢) « مَنْ تَشَاءُ » بنصرة الرسل والمؤمنين ، كما قلت في كتابك المنزل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ الآية . وفي أخرى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : تقويه وتُغلّبه على عدوه ، ثم نقضُ العزائم وفتح الهمم دليلٌ على مشيئته وإرادته ، وحرمانُه المجدين وعجزُ المجتهدين عن رد قضائه دليلٌ على جلاله وعظمته وقدرته وقوته ، يحتمل الاستئناف تقريراً لمضمونه السابق والجواب والاعتراض وغيرها فليتأمل ، وإيثار الخطاب ليكون اللاحق على وتيرة السابق .

(٣) « وَأَنْتَ العَزِيزُ » المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجز من يشاء أن ينصره أيّ فريق كان ، أو المنيع بسلطانه لا يغلب على أمره ولا يجري في خلقه إلا ما يريده .

وحظ السالك منه : أن يعز نفسه ولا يستهينها بالمطامع الدنية ، ولا يدنسها بالسؤال من الناس ، وحظ العبد منه : أن يغلب نفسه ويقهرها ويمنعها من هواها ، وقال أبو العباس المرسي : والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن المخلوقين ، وقد قيل : ذَلّ من استعزّ بغير الله .

الرَّحِيمُ(١) **نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ**(٢)........................

---

(١) « الرَّحِيمُ » بالمؤمنين بالإمهال فلا يعاجل العصاة بالعقوبة ، وقيل : العزيز الغالب على أعدائه الرحيم العاطف على أوليائه ، وقيل : العزيز بالنقمة من الأعداء ، الذي لا يقاوم ، الرحيم للإحباء حين نصرهم ، أو الغالب بجعل الضعيف غالباً بنصرته والقوي مغلوباً بخذلانه ، فلا يغلب من ينصره ولا يضيع من رحمه ، أو العزيز بطمس وجوه الأعداء ، الرحيم بالعصمة والتوفيق ، وخَصَّ هذين الاسمين والجمع بينهما : إما للورود جمعاً بين الوعد والوعيد ، وقيل : لأنه إن لم ينصر المحب بل سلط العدوّ عليه فذلك لعزته وعدم افتقاره ، وإن نصر المحب فذلك لرحمته عليه ، وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار .

وفي الختم بالرحيم إشارة إلى أنه يوصِل إلى عباده آثار رحمته أكثر مما يوصِل إليهم آثار رهبته ، فنسألك التوفيق لموجبات رحمتك ونستعيذ بك من موجبات الذل وتقمتك ، قيل : ومن المستحب تقديم النداء والثناء على السؤال للحاجات إذا أراد الدعاء ، ولذا راعى الشيخ حيث نادى أوّلاً بقوله ياالله ، وأثنى ثانياً بقوله أنت ربي اهـ .
ثم طلب حاجته فقال :

(٢) « نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ » مع ثباتها لأنها لا يملكها إلا أنت ، وأن كل أحد لا يمتنع عن كل قبيح إلا بعونك وحفظك ، لأنك عصمةُ البائس الفقير ، الحافظ العالم بكل حركته وسكونه وما يحدث من الأحوال ، ولا يُتَصَوَّر لك الغفلة والنسيان . يحتمل أن يكون جواب النداء ، عدل عن صيغة الوجوه إلى الغير قصداً لشمول الأهل =

فِي الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ[١] ....

= والأولاد والأصحاب ، أي عصمة القلوب ، خصها : لأن الله تعالى جعلها محلاً للخواطر والإرادات والخطرات والنيات ـ وهي مقدمات الأفعال ـ ، وجعل سائر الأعضاء تابعة للقلوب .

(١) « **فِي الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ** » وجميع الحاجات ، ولكثرة تقلبه ، وقد ورد : إن قلب بن آدم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع مرات ، وفي رواية : لَقلبُ ابن آدم أشدّ انقلاباً من القدر إذا اجتمع غلياناً ، وأخرج الحكيم الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري قال : ليأتين على الرجال أحانين وما في جلده موضع إبرة من النفاق ، وليأتين على الرجال أحانين وما في جلده موضع إبرة من إيمان ، ولذا كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعو : (**يا مقلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك**) ، قالت أم سلمة : قلت : يا رسول الله إن القلوب لتقلب ؟ قال : (**نعم ما من خلق الله بشر من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ، فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاغه**) .

ولذا طلب العصمة والتثبيت ، أو عصمة القلوب والأبدان ، أي : نسألك الحفظ من كل سوء ، أو عصمة أمري ، أو الامتناع بلطفك عن المعصية ، أو التمسك بالدين القويم والكتاب الكريم مع السلوك إلى الصراط المستقيم ، وقيل : نطلب منك أن تمنعنا من الذنوب بالستر عنا حتى لا نعرف طرقها ولا تخطر ببالنا . ثم المراد العصمة الكاملة البالغة الدائمة الخالية عن العجب إذ قد ورد : (**لولا أن المؤمن يعجب بعمل لعصم من الذنب خير له من العجب**) كما في الزواجر . وفيه إشارة إلى تقديم التخلية على التحلية ، لأن دفع المضار =

. . . .

أهم من جلب المنافع ، وفيه إيماء إلى جواز سؤالها لغيرها .

وقيل : أخص العصمة في عرف العلماء بالأنبياء والحفظ بالأولياء ، والحق الجواز ، وكفاك حجة ماورد في الأدعية المأثورة في الرواية تعليماً لأمته : « **والعصمة من كل ذنب** » « **وتعصمني بها من كل سوء** » وقوله : « **اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم** » وقد ورد عن الكبار منهم الشيخ المؤلف وهو حجة وثقة ، ومنهم إبراهيم ابن أدهم ، قال في ليلة ممطرة : فلم أزل الوقوف إلى السحر ثم رفعت يدي إلى السماء ، وفي رواية البعض : تعلقت بالملتزم وقلت : اللّهم إني أسألك أن تعصمني عن جميع ما تكره ، فإذا قائل يقول من الهواء : أنت تسألني العصمة فإذا عصمتك فعلى من أتفضل ولمن أغفر ، قال التفتازاني في التهذيب : أما اللطف والتوفيق والعصمة فعندنا خلق القدرة على الطاعة ، والخذلان خلق القدرة على المعصية ، وقيل : العصمة أن لا يخلق الذنب ، وقيل : خاصية تمنع صدور الذنب ، وقيل : العصمة اللطف المانع شرب القبيح ، انتهى .

قال في شرح المقاصد : اللطف والتوفيق خلق قدرة الطاعة ، والخذلان خلق قدرة المعصية ، والعصمة هي التوفيق بعينه ، فإن عمت كان توفيقاً عاماً وإلا فخاصاً ، ذكره أمام الحرمين وقال : ثم الموفق لا يعصي إذ لا قدرة له على المعصية ، وعند الحكماء والفلاسفة : ملكة تمنع الفجور بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب

. . . .

= الطاعات ، كما في المواقف .

وأما ما قيل أنها خاصية في نفس الشخص أو بدنه يمنع سببها صدور الذنب عنه ففيه نظر إذ لو كان الذنب ممتنعاً لما صح التكليف بترك الذنب ، ولما كان مثاباً عليه . وفي شرح العقائد : حقيقتها أن لا يخلق في العبد الذنب على بقاء قدرته واختياره ، وهذا معنى قولهم : هي لطف من الله يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء ، ولذا قال الشيخ أبو المنصور : العصمة لا تزيل المحنة ، وفي شرح المقاصد : لطف لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة ولا ارتكاب المعصية مع القدرة عليها ، وقال الراغب : العصمة فيض إلهي يقوى بها الإنسان على تحرّي الخير وتجنّب الشر حتى يصير كمانع له من باطنه ، وأن يكون معناً محسوساً وليس ذلك بمانع ينافي التكليف ، كما توهم بعض المتكلمين .

وفي شرح الجوهرة : هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها ، وقيل : اللطف أعم من العصمة التي هي الحفظ عن المعاصي والقبائح ، ومن التوفيق الذي هو جعل الله فعل عباده موافقاً لما يحبه ويرضاه ، وقيل : أصل التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة فليتأمل حق التأمل ، ثم لا مانع من الطلب لأنه إن كان قبل البلوغ يكون طلباً للدخول في زمرة قوله تعالى : ﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ أي : الذين لم يصيبوا الذنوب على ما قال غير واحد من المفسرين ، وإن كان بعده يكون طلباً للعصمة في بقية العمر من الآثام بالتوبة من السابق =

. . . .

= والحفظ أي من اللاحق ، والجمع بين الاكتفاء بعمله وبين طلب العصمة باعتبار الأحوال والمقامات فلا منافاة بينهما .

« **فِي الحَرَكَاتِ** » أي : الانتقالات من حال إلى حال ، والجمع للتعميم ، والعصمة مطلوبة أي : الحركات الظاهرة الجسمانية والباطنية من الحركات الفكرية النفسانية كالغضب ، قال الفلاسفة : الحركة خروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج ، ويكون بالذات كالسفينة ، وبالعرض كحركة راكبها الحركة إما قسرية أو إرادية وإما سريعة أو بطيئة ، ثم تقديمها على السكنات لما في الحركات من بركات ، ولكثرتها غالباً فالاهتمام به أولى وأكثر .

« **وَالسَّكَنَاتِ** » في جميع الحالات ، أي : الثبات واللبث والاستقرار ، ويحتمل الوضع ، وقد استقروا على سكناتكم أي : على مواضعكم ، ويحتمل الاستقامة كما يقال : الناس على سكناتهم أي على استقامتهم ، ثم ما كان مسبوقاً بكونه آخر في ذلك الحيز بعينه فهو ساكن ، وما لم يكن مسبوقاً بكونه آخر في الحيز بل في حيز آخر فمتحرك ، وهذا معنى قول المتكلمين : الحركة كونان في آنين في مكانين ، والسلوك كونان في آنين في مكان واحد . وتحرير الكلام وبسط المرام محتاج إلى محله مع البحث اللائق والتدبر الصادق .

وقيل : ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد ، ولذا استعصم فيها ، ويحتمل المعنى : نسألك العصمة من الحركات والسكنات لغيرك ، فقال بعض العارفين : حرام على كل قلب أن يشم رائحة

وَالكَلِمَاتِ(١) وَالإرَادَاتِ(٢) وَالخَطَرَاتِ(٣) ....

= وفيه سكون إلى غير الله .

(١) « وَالكَلِمَاتِ » وإطلاق الكلمة على المُرَكَّبَات شائع ، نحو : وكلمة الله هي العليا مكان الشهادة والتوحيد ، أي : نطلب الحفظ في كلماتنا تكلماً وسكوتاً عما لا ترضاه من الكلمات الباطلة والغلطات والمحرفات والسكوت عن كلمات الحق ، فإن صاحبه شيطان أخرس ، ونسأل أن تجعل كلماتنا طيبة صاعدة إلى جنابك ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ، ولو عمّم الحركات والسكنات إلى اللسان وغيرها لكان ذكرها تخصيصاً بعد التعميم .

(٢) « وَالإرَادَاتِ » جمع إرادة ، قال في القاموس : والصحيح : الإرادة المشيئة ، قيل : هي فراغ الجهد في الطاعات ، ويقال : بدء طريق السالكين إلى الله تعالى ، ومنه المريد للشيخ ، وقيل : هي صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين على الآخر . قال التفتازاني : هي صفة تخصيص أحد طرفي المقدور بالوقوع ، والتفصيل في محل ، أي : اختياراتها القلبية الجزئية ، أو مشيئاتنا وطلباتنا ، أو نسأل العصمة من نياتنا الخالية عن الخلوص في العبادات ، ومن الإرادات والمخالفات لإرادتك الجليلة أن يوافقها أو يخالفها شيء من الكائنات .

وحاصله : نسألك الإغناء بإرادتك واختيارك عن إرادتي واختياري ، وقال الشيخ صاحب الحزب : من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إرادتها .

(٣) « وَالخَطَرَاتِ » ويجمع على الخواطر أيضاً ، أي : القلبية كحديث النفس ، قيل : ترتيب الوارد على القلب على مراتب : الهمة ثم =

. . . .

= اللمة ثم الخطرة ثم النية ثم الإرادة ثم العزيمة ، فالثلاثة الأولى لا يؤاخذ بها ، بخلاف الثلاثة الأخر كما قيل ، قال بعضهم : الخواطر أربعة : خاطر من النفس يحس من أرض القلب ، وخاطر من فوق القلب ، وخاطر من الشيطان فهو على يسار القلب ، وخاطر من الملك فهو على يمين القلب ، ثم قيل : سبب اشتباه الخواطر الأربعة ضعف القلب أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها ، أو متابعة الهوى تحرم قواعد التقوى ، أو محبة الدنيا بجاهها أو طلب الرفعة بين الناس ، فمن عصم من هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان .

قيل : من السنة أن يستعيذ بالله مما يخطر بباله من هواجس النفس ، وفي بعض الكتب : أن الهاجس هو الذي وقع في القلب أولاً ، وإذا لبث يكون واجساً ، وإذا قوي يكون خاطراً ، وإذا استقر يكون فكراً ، ولا ينبغي أن يستحقر العبد الخطرات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة إنه لم فعل وما الذي قصد به ، كما في مرشد الأنام لشرعة الإسلام ، وهذا يحتاج إلى التأمل الصادق والتتبع اللائق ، أو النكات التي خطرت ببالنا والأمور التي دخلت في قلوبنا ، قيل : الخواطر لا تثبت ، أو نسأل العصمة عن المخاطرات والمخاوف والحماية في حرمتنا وعزتنا ومنزلتنا عما يوجب الملام يوم القيامة .

وحاصله : نسألك العصمة من كل همّ وغمّ وخطر وقصد وفكرة وتمنٍّ ومباشرة وإصرار وأمثالها ، مما يخل بالكمال ورضاء الملك

مِـنَ الظُّنُـونِ[١] ....

= المتعال ، قال إمامنا القشيري رحمه الله : من وجوه الظلم على القلب تمكين الخواطر ، منها : همٌّ وأخطاء الغير بالبال ، وقال شيخنا المؤلف : إذا كثر عليك الخواطر والوساوس فقل : سبحان الخلاق ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ وقال أيضاً : البصيرة كالبصر أدنى شيء فيها يعطل النظر وإن لم ينته الأمر إلى العمل ، فالخطرة من صفات البشر تشوش نظر البصيرة وتكدر الفكر والإرادة ، وتذهب به بالخير رأساً ، والعمل به يَذهبُ بصاحبه عن سهم من الإسلام ، فإذا استمر على الشر تفلت من الاسلام سهماً سهماً فإذا انتهوا إلى الوقيعة في العلماء والصالحين وموالاة الظالمين حباً للجاه والمنزلة عندهم ، فقد تفلت منه الإسلام كله ، ولا تغرَّنَّك منه ما توسَّم به ظاهراً فإنه لا روح له ، فإن الإسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده .

(١) « مِنَ الظُّنُونِ » وتقديمها كما في أكثر النسخ ، وهو الظاهر المروي عندنا ، إما لقوته أو شرفه بالنسبة إلى اللاحق ، وتقديم الشكوك ترقياً من الأضعف إلى الأقوى ففيه رعاية للجانبين .

في القاموس : الظن التردد والراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم ، جمعه الظنون ، وقيل : هو الذي يحتمل الثبوت وغيره ، لكن على الثبوت رجحان ، مثل : زيد قائم ، والجار متعلق بالعصمة للتبعيض أي : بعض الظنون المختلفة السيئة ، وهو الظن السوء لأن جميعه ليس بمنهي عنه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ كظنون أرباب الضلال التي لا تستند إلى برهان ، بل إلى خيالات =

. . . .

= كاسدة وأقيسة فاسدة ، كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة ، مع أن العلم بالأصول لازمٌ والتقليد والاكتفاء بالظن غير جائز ، ولذا ذمّهم الله في كثير من الآيات باتّباع الظن ، وبيّن أنّ سبب مصيرهم إلى الضلالة الموجبة للنار ، والأدلةُ الظنّية الفقهية كظنون المجتهدين غير داخلة فيها ، فلا يطلب منها العصمة .

وقيل : وللظن أقسام : قسم واجب : وهو حسن الظن بالله تعالى ، وقسم مندوب : وهو حسن الظن للأخ المؤمن الظاهر العدالة ، وقسم حرام : وهو سوء الظن بالله تعالى وسوء الظن بالمؤمن ، وقد ورد خصلتان ليس فوقها شيء من الشر : سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله ، ذكره السيوطي في حصول الرفق .

وعن أبي الشيخ البصري قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : تزعم أنك تحبني وتسيء فيّ الظن صباحاً ومساء ؟ ! أمَا كانت لك عبرة أن شققت سبع أرضين فأريتك دودة فيها بره لم أنسها ؟ كما في الدر المنثور . وأما مجرد الظن بلا تكلم ولا تحقيق فلا محظور ، لكن الكمال سلامة الصدر ، أو للتبيين بناء على أن طلب العصمة من جميع الظنون في الأحكام النظرية والعلمية ليخرج منها إلى مرتبة اليقين ، وهو المطلوب عند أرباب الحقائق ، وهو الظاهر المناسب للمقام ، وأما الأخذ من الظنة بمعنى التهمة أي : العصمة عما يوجب التهم في هذه الأشياء فبعده لا يخفى فتدبر .

ثم هذا ناظر إلى الخطرات والإرادات لا يقبلها هو القلب كما

وَالشُّكُوكِ[١] وَالأَوْهَامِ[٢] السَّاتِرَةِ[٣] ....

= لا يخفى ، ولا يبعد أن يكون ناظراً إلى الكل ، فالمعنى : اعصمنا من الظنون حتى لا نتحرك ولا نسكن ولا نتكلم ولا نريد شيئاً مبنياً على الظن وعملاً به ، بل أوصلنا من رتبة البيان إلى ذروة العيان ، والله المستعان فله الحمد في جميع الآن .

(١) « وَالشُّكُوكِ » جمع شكّ ، قال في الصحاح : هو ضد اليقين ، وعرفاً : هو التردد والأمر المساوي ، وقيل : تجويز الأمرين من غير مرجح ، وقيل : هو الذي يكون دلالته على الطرفين مساوياً ، أي : نطلب العصمة من الشكوك في أمور الدين بعد اليقين ، أو من غيابها وظلمات الشبه بالإيصال إلى نور الإيقان والإحسان وكمال الإيمان ، والاستعصام منه لأنه مخل بالدين ، لأنه لا يغني في معرفة الله شيئاً ، ولا يقوم مقام العلم والتحقيق ، ولذا أورد الاستعاذة بقوله عليه السلام : « **أعوذ بك من الشك في الحق بعد اليقين** » وغيره .

(٢) « وَالأَوْهَامِ » في القاموس : **الوَهَمُ** من خطرات القلب ، أو مرجوح طرفي المتردد ، وفي جمعه : أوهام ، وقيل : هو الذي يكون دلالته على الثبوت لكن طرف الثبوت مرجوحٌ ، في الصحاح : وَهِمَ في الحساب : غلط فيه وسهى ، إلى العصمة من الغلطات في الأمور ، يعني : أسألك اليقين الصادق الذي ليس بعده شك ولا وهم ولا ظن ، لأنها لا تنفع في معرفة الحق نفعاً ما ، وأنها ليست كاليقين سيما في المطلوب فيه العلم ، وقد قيل : إن حقيقة اليقين مشاهدة الغيوب بكشف القلوب ، وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأذكار .

(٣) « السَّاتِرَةِ » صفة الأوهام وهو الأقرب ، أو المثلثة وهو الأظهر ، =

لِلْقُلُوبِ[١] عَنْ مُطَالَعَةِ الغُيُوبِ[٢]...........................

= يحتمل الاحتراز ، ويحتمل المضارّ : أي التي تستر وتحجب .

(١) « لِلْقُلُوبِ » وأفئدتنا ، خصها لأنها أعز موضع في بدن الإنسان ، ومحل الإيمان ونظر الرحمن ، وملك الأبدان أن يجعلها بظلماتها كالشيء المغطى والأمر المغشي ، وتكون حائلاً بين القلوب وبين مطالعة الغيوب ، ويجعلها عُمياً ، لذا ذمَّ تعالى من كان أعمى القلب كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ فحمايتنا أهم من كل الوجوه ، وعميها أشد من عمى الأبصار ، وهذا سبب قوي لمن بغى وطغى ومن قال أنا ربكم الأعلى ، فنعوذ منه بالله العلي العظيم الأعلى .

ثم إذا خلى القلب عن الموانع المذكورة تجلت في القلب الأنوار القدسية وآثار الملكوت وذلك بفضل الله وتوفيقه وهدايته .

(٢) « عَنْ مُطَالَعَةِ الغُيُوبِ » ومشاهدة قدرتك ومطالعة إرادتك وانكشافها ، مضاف إلى مفعوله الفاعل متروك وهو القلوب وهو الأقرب ، أو مطالعة وهو الأظهر ، والغيوب : ـ جمع غيب ـ وهو ما غاب عن العباد ، وفي القاموس : كل ما غاب أي عن اطّلاعنا من الأمور الدينية والدنيوية ، واللام للجنس ولا مجال للاستغراق ، أو لا يمكن مطالعة جميع الغيوب ، منها المغيبات الخمس ، والحمل على العرفي بعيد وتكلف بلا سبب ، أي جميع الحقائق المغيبات من التي يجوز مطالعتها ، ثم هو إما متعلقة بالساترة أي هذه الأشياء تستر القلوب وتحجب وتحول بحيث لا يقدر أن يطالع الغيوب ، أو متعلق بالعصمة عن مطالعة الغيوب ، مما لا يجوز الإقدام عليها =

فَقَدِ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ[١] وَزُلْزِلُوا[٢] زِلْزَالاً شَدِيداً[٣] وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ[٤]

= كالمتشابهات والخوض في ذات الله وصفاته وفي مسائل الإرادة وبحث القدرة .

ثم خلاصة الكلام اجعل حركاتنا وسكناتنا وأقوالنا وإراداتنا وأحوالنا كلها لك ، واشغلنا بك لا نتكلم إلا ثناء عليك ، ولا نتحرك إلا في طاعتك ، ولا نجتهد إلا فيما يقربنا إليك ، ولا نفتر عن ذكرك ، ولا نرجو غيرك ، فكن أنت ولينا وناصرنا في جميع أمورنا ، فأعطنا سعادة لا نشقى معها بمطالعة غيرك .

(١) « فَقَدِ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ » أي امتحنوا بالصبر وتمييز المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل ، ولعل إيراده تأييد لما سبق ، من طلب العصمة .

وخلاصته : نسألك أن تكسينا جلابيب العصمة في الأنفاس واللحظات ، وأن توقفنا إلى حقيقة العبودية في جميع الحالات ، ونسألك علماً لَدُنِّيّاً نترقى به إلى مراقي الكمالات في المحيا والممات ، والمجمل : هب لنا من مواهب السعداء واعصمنا من موارد الأشقياء .

(٢) « وَزُلْزِلُوا » أي حُرّكوا من شدة الفزع .

(٣) « زِلْزَالاً شَدِيداً » تحريكاً بليغاً يعني : خُوِّفُوا وأُرْهِبُوا خوفاً شديداً ، قيل هذا بالجوع ، وقيل : باضطراب الأقدام في القتال ، وقيل : هي اضطراب القلوب من الهيبة ، وقيل : من وقوع الشبهات للضعفاء . واذكر

(٤) « وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ » أي وقت قولهم وتكلمهم بما في أنفسهم من النفاق ، وهم المظهرون للإسلام مع إخفاء الكفر ، ويطلق على كل =

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ(١) ....

= من خالف ظاهره باطنه ، وصيغة المضارع لاستمرار القول ، واستحضار صورته يعني حكاية حال ماضيه تهجيناً لذلك .

(١) « وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » شكّ وشبهة وضعف الدين ، أصل المرض الضعف ، سمي الشكُّ في الدين مرضاً : لأنه يضعف الدين كما أن المرض يضعف البدن ، وقيل : استعير المرض لغرض النفاذ لأنه حقيقة : فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال إلى اللائق به ، ومجاز : في الأعراض النفسانية التي يخل كمالها كالجهل ـ وهو أضر للقلب من البدن ، وعلاجه أعسر ، وأطباؤه أقلّ ، والخلاص منه أجلّ ، وهو مهلك جداً ـ ، وسوء العقيدة والحسد وحب المعاصي لأنه مانعته من الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية ، ثم تنكيره للتنويع أي نوع مرض ليس ما يتعارفه الناس ، شبههم بمرض لاضطرابهم في الدين لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول والقالب ويضمرون لهم الخلاف بالقلب ، فكان حالهم كحال المريض إذ هو أشرف على الموت ويرجى الإقبال منه ثانياً .

قيل : هم قوم لا بصيرة لهم في الدين بل لهم تردد واضطراب ، كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم ، ولذا تطمئن قلوبهم بالإيمان ، وقيل : هم المشركون لأن فيهم مرض الشرك ، كتردد المريض بين بقائه حياً وبين موته ، وقيل : هم الذين ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام ، بل كانوا على حَرْف ، وقيل : الواو فيه للعطف التفسيري ، أي : هم الذين في صدورهم ريب ، وقيل : هو وصف =

مَا وَعَدَنَا اللهُ[١] **وَرَسُولُهُ**[٢] **إِلاَّ غُرُوراً**[٣] **فَثَبِّتْنَا**[٤]. . . . .

= المنافقين ، والواو للجمع بين الصفتين ، أي الجامعون بين النفاق والشقاق ، قيل : ليس بظاهر ، لأن من أظهر الإيمان ثلاثة أقسام : الخلص القلوب والضعاف القلوب والمنافقون .

وفرق البعض بينهما : أن المنافق أقرّ باللسان وأضمر النفاق ومَرَدَ عليه ، ولم يشك في تكذيب الرسول وجحد الكتاب ، وأما الذين في قلوبهم مرض فيشكون في التكذيب وجحده ينظرون ما يكون ، فإن أصابهم جحد صاروا إلى ما صاروا إليه ، وسبيلُ الفريقين الكفر .

(١) « مَا وَعَدَنَا اللهُ » من إعلاء الدين بالنصر والظَّفَر على المشركين .

(٢) « وَرَسُولُهُ » بأخبار الفتوحات ، قال معتب حين رأى الأحزاب : يعدنا محمد فتح فارس والروم ولا نقدر إلى الخروج إلى البراز خوفاً ، ما هذا الوعد ؟ .

(٣) « إِلاَّ غُرُوراً » أي وعداً ، فظن المنافقون أن ما قال الله ورسوله كان زوراً ووعدهما غروراً ، إذا كان أحوال المذكورين هكذا ، والفاء لترتيب الدعاء على ما قيل من الابتداء ، وفي التفريع لطافة كما لا يخفى ، ولذا خص التثبيت بالذكر .

(٤) « فَثَبِّتْنَا » أي : ثبت قلوبنا على دينك وعلى اليقين عند ابتلائك ، كما ثبّتَّ قلوب أصحاب العناية هنالك ، أو ثبت قلوبنا وأقدامنا على الاستقامة والسلام بالتأييد منك عند محاربة الأعداء والأضداد ، أو ثبتنا عند المضايق بالصبر والتسليم والإمداد ، أو ثبتنا على دين الحق وملك العافية ، أو على العصمة المذكورة الكافية ، كأنه على وعده =

وَانْصُرْنَا(١)..

= الكريم حصل وطلب دوامها ، وإنما طلب الثّبات لأنه حال من شاهد أنوار النبوة والمعجزات إذا كان على التردد والاضطراب عند الاختيار ، فما الظن بالغير ؟ نسأل الله الثبات والنجاة .

وقال الشيخ : إذا عرض لك عارض ليصدك عن الله فاثبت ، قال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾ الآية . وأيضاً يقول : إذا ضيّق الله عليك في المعيشة فاعلم أنه يريد أن يواليك فاثبت وإياك والضجر .

(١) « وَانْصُرْنَا » إنه لا ناصر لنا إلا أنت ، وقد ذلّ من استنصر بغيرك ، انصرنا على جميع الأعداء بالحجة والغلبة والقهر ، وقال الشيخ المؤلف : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ الآية . وقال إمامنا القشيري رحمة الله عليه : حقيقة النصرة أن ينصرك على نفسك فإنها أعدى عدوك ، وهي أن تحرم عنك دواعي فِتَنِها بعواصم رحمتك ، حتى تنقصر جنود الشهوات بهجوم وَقود المناولات ، فتبقى الولاية لله تعالى خالصة من رعونات الدواعي ـ التي هي أوصاف البشرية ـ والشهوات النفسية ، وقال شيخنا المؤلف : من الشهوة الخفيفة للولي إرادة النصرة على من ظلمه ، وقال الله للمعصوم الأكبر : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ أي : فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكهم انتهى .

قيل : وانصرنا بإعطاء الصبر الجميل على المحن ، والتوفيق للشكر على المنن والتوفيق لحقائق الزهد ، والاستغناء بك عن طلب =

وَسَخِّرْ لَنَا[١] **هَذَا الْبَحْرَ**[٢] ....

= غيرك ، والإجلاس ببساط الصدق والإكساء بلباس التقوى ، وبإملاء قلوبنا بمحبتك مع عدم الاتّساع لغيرك ، والأمن عن هم الرزق وخوف الخلق وعن عصمته ، وبالصرف عن كل محبوب هو لي ولا يكون لك ، وبالإذاقة لحلاوة الرحمة والمناجات ولذة الطاعات ، أو انصرنا في كل حال على الكمال ، لا سيما عند شدة الاحتياج والارتحال ، إذ لولا نصرتك وعصمتك طرفة عين لشغلني أضعف دبيب من خلقك عن كل شيء . وخلاصة المعنى : انصرنا بدوام التوفيق وتمام التحقيق .

(١) « وَسَخِّرْ لَنَا » أي ذلك لمنافعنا واجعله مطيعاً ومنقاداً لأمرنا غير ممتنع علينا بحيث يكون لنا كالوالدة لولدها بلا استحقاقٍ منّا .

(٢) « هَذَا الْبَحْرَ » فإن تسخيرك لنا نعمة جزيلة وقد مننت به علينا بقولك : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّـرَ ٱلْبَحْـرَ ﴾ أي : البحر الذي ركبناه وسلكنا فيه أيّ بحر كان ، ملحاً أو عذباً وبحر المقاصد والحاجات وتسخير الحيوانات ، والمراد بتسخيره تسخير مائه وريحه وهوائه وصيده وجميع ما فيه ، بالجري فيه عند الركوب بريح طيب على وفق المراد ، وبتعليم وجود أجزاء السفن مقبلة ومدبرة بقطع المسافات البعيدة في المدة اليسيرة ، بلا ظهور أذى فيه بالأمواج والرياح الشديدة والموانع ، وبجعله سلامة ووقاية عن كل مكروه ، مع الإيصال بكل مقصوده ، راضية مرضية بتيسير جميع الأسباب ، وتوفيقها على ما أفاد الكلام كله بمقتضى علمه تعالى ، أو حصول المطالب الحسنة بالخير زائداً على طبق المأمول ، أي : سهّل لنا =

كَمَا سَخَّرْتَ[١] الْبَحْرَ لِمُوسَى[٢] ....

= بالخير والكفاية جميع الأمور في البر والبحور ، ثم مراد الشيخ منه في ابتداء أمره بحر القلزم على ما في أسامي الكتب ، لا بحر النيل كما توهّم البعض ، إلا أن يقال لا مانع من الجميع ، والظاهر : أنه عام للبحر والبر وجميع المقاصد من جلب خير ودفع شر على تقدير قراءته في البحر لما ذكره حقيقة ولغيره مجاز ، ولا يغير لفظ الشيخ بل يقرأ على ما ذكر فالتَّيَمُّن فيه ، ولا موجب لتحريفه بل يقوى ، لمقصوده بقوله هذا البحر : المراد الذي أراد ، من نيل العطايا وصرف البلايا مما يرضي الله تعالى .

(١) « كَمَا سَخَّرْتَ » تسخيراً مماثلاً تسخيرك .

(٢) « الْبَحْرَ لِمُوسَى » سمي البحر به لعمقه واتساعه وانبساطه ، وأصله للمكان أطلق على الماء تجوزاً ، قيل : خاص بالملح ، وقيل : عام بها ، والأخير هو المختار ، قدم لكونه أعظم وأدل على القدرة وأدخل في الأعجاز وأخرق للعادة ، وكذا أكثر الله ذكره في القرآن ، أو لكمال تناسب كل منها في هذا البحر على الأشهر ، ولم يذكر قومه لأن المبغى الأصلي منه هو عليه السلام ، وقومه تبع له ، فعلى هذا إنه المعهود وهو البحر القلزم ، طرف من بحر فارس ، أغرق الله فرعون وقومه فيه ، وفي القاموس : قلزم بلدة بين مصر ومكة قرب جبل الطور ، وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه ، أو لأنه يبتلع من ركبه ، وقيل : بحر أساف من بحار مصر ووراءه ، قيل : سمي اليم بحر قلزم لكن فيه نظر فليتأمل ، أو بحر النيل عند الإلقاء في أول أمره بالتابوت ، أو عند إغراق فرعون على اختلاف المفسرين ، =

. . . .

= فظهر من هذا : أن تخصيص الأول بالنيل ، والثاني بالقلزم فاسد جداً على ما لا يخفى ، ولا يبعد إرادة العموم بالتَّجوُّز كما مر ، كيفية تسخيره البحر له عليه السلام مفصل في محله ، وذكره لأنه من التسخيرات العجيبة ، ومن قدر لمثل هذا فتسخير البحر له أقدر ، وفي الحاشية والشرح العتيق : ينبغي أن يقرأ لأمن الغرق في البحر بعد قوله : فثبتنا وانصرنا قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الآية . ﴿ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا ﴾ إلى : ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثم يقول : وسخر لنا هذا البحر الخ .

للأمن من الغرق فوائد عظيمة نافعة بعضها مجربة ، من كتب اسمه تعالى المقتدر وعلقه على سفينة أمنت ، ومنها : دعاء أبي الدرداء : بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، أحصى كل شيء عدداً ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر غيري ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، وأنت على كل شيء حفيظ ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ . من داوم عليه صباحاً ومساء أمن من الغرق والحرق .

عن النبي عليه الصلاة والسلام : « أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا =

. . . .

= **في السفينة بسم الله مجريـها . .** » إلخ . ذكره الإمام الجزري والقرطبي وابن كثير . ومن المجربات أيضاً : دعاء الخضر عليه السلام ، وقد ورد : من قالها كل يوم ثلاث مرات أمّنه الله من الغرق والسرق ، ومن الشيطان والسلطان ، ومن الحية والعقرب ، ذكره السيوطي وغيره . وقد جمعت في هذا الباب دعوات وسميته : (فتح البحر لأمن البحر) والحمد لله رب العالمين .

وكفاك في هذا الشأن ما نقل عن السادات الأخيار وما جربه الأبرار ، وعن محمد بن شبل أنه قال : لما انصرفت عن الحج وكان مسيري إلى مدينة تونس ، فلقيت الفقير زيد بن إسماعيل ، فلما ودعته إلى الخروج قال : يا محمد أتركب البحر ؟ فقلت : نعم إن شاء الله ، قال : حدثني ابن عباس رضي الله عنه أنه قال حين ركب البحر أو دابة فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله الملك الديان ، يا من له السموات السبع خاشعات والبحار الزاخرات خاضعات ، احفظني أنت خيرٌ حافظاً وأنت أرحم الراحمين ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته وعلى جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين ، ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ثم قال ابن عباس لأصحابه : إن عطب قائلها أو غرق فقد ديته فقال محمد : أنا ركبت البحر من ساحل شرشا ، فكنا اثنين وعشرين

وَسَخَّرْتَ النَّارَ(١) لِإِبْرَاهِيمَ(٢)..........................

= مركباً ، ما سلم منها إلا المركب الذي فيه هذا الدعاء بإذن الله تعالى .

(١) « وَسَخَّرْتَ النَّارَ » المعهودة وهي نار نمرود ، مع عُتوّ تمرده واستكباره وقوة سلطانه ، حيث نصرته بجعله حديقة وبرداً وسلاماً على ما ذكره الله ، قيل : لم يبق في الأرض يومئذ نار إلا طفئت ، فلم ينتفع ذو اليوم بنار العالم .

(٢) « لِإِبْرَاهِيمَ » عليه السلام ، عن أبي بن كعب : أن إبراهيم عليه السلام حين أوثقوه ليلقوه في النار ، قيل : كان من دعائه عليه السلام : (لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ولك الملك لا شريك لك) قال وهب : قال : يا أحد يا صمد بك أستعين وبك أستغيث وعليك أتوكل ، حسبي الله لا إله إلا هو ونعم الوكيل ، يا رب إنك أنت تعلم إيماني لك وعدوان قومي فيك ، فانصرني عليهم ونجني من النار ، ثم أُهوي به في المنجنيق إلى النار ، فاستقرّ له جبرائيل ، فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ، فقال : أما إليك فلا ، قال جبرائيل : فسل ربك ، قال إبراهيم عليه السلام : حسبي من سؤالي علمه بحالي .

روى البخاري عن ابن عباس في قوله : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد عليه السلام حين قال لهم الناس : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ الآية ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : إنما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل فرموه فيها ، وهو يقول حسبي الله . اهـ كما في المدارك . =

. . . .

قيل : أخذت الملائكة بضيفي إبراهيم ، فأقعده على الأرض ، فإذا عين ماء عذب ، وبقي في ذلك الموضع سبعة أيام ، قال عليه السلام : ما كانت أيام قط أنعمَ من الأيام التي كنت في النار ، وفي رواية عن أبي هريرة قال : إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما دفع عنه وهو في النار وحده يرشح جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الرب ربك يا إبراهيم ، ذكره السيوطي في سورة الأنبياء . قال وهب : وجعل الله عز وجل ما حوله روضة خضراء ، وفرش له فيها ما اشتهى ، وألبسه وبنى فوقه قبة ، وجعل بينه وبين النار حجاباً من ثلج ، فكانت النار توقد فوق ذلك . وقيل : نزع الله طبعها الذي خلقها عليه من الحرّ والإحراق ، فذهبت حرارتها وأذاها وبقيت ضوءها والله على كل شيء قدير ، وجعل ذلك حتى نظر ضوءَها أهلُ الشام ، وذاب النحاس الذي سدت الأبواب ، واحترق الجدار وصار رماداً ، وخرج منها إبراهيم سليماً صحيحاً ، قيل : ما من ماء عذب إلا وينبع من تحت الصخرة في بيت المقدس ، وما من قرى إلا وينبع من كوثر الذي أحرق فيه إبراهيم عليه السلام . ـ ناحية من بابل ـ .

ثم اختلفوا في كيفية التسخير ، قيل : يخلق الله تعالى في جسمه كيفية حرارة قوية لا يعمل فيها النار ، وتلك حرارة العشق والمحبة ، كما ورد : (جُزْ يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي) وقيل : بإذهاب حرارة النار وأذاها وإبقاء برودتها ، فصار يتلذذ برودها بحرارته ، أو بإذهاب بعض الحرارة والخلق فيها بعض البرودة فاعتدَلا ، وقيل :

وَسَخَّرْتَ الجِبَالَ[١] وَالحَدِيدَ[٢] لِدَاوُدَ[٣] وَسَخَّرْتَ الرِّيحَ[٤].......

= إنهم قالوا نار مسحورة الاحتراق فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق ! .

والحاصل : كلٌّ مِنْ أبدعِ خوارق العادات وأبهر المعجزات وأعظم الآيات .

(١) « وَسَخَّرْتَ الجِبَالَ » المعهودة ذهناً أو خارجاً ، وفيه إشعار لكثرتها ، قدَّمها لِعِظَمِها لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة ، لأنها جماد ، قال ابن عباس : كانت تسبح معه الحجر والشجر ، ويسمع تسبيح الجبال ، ويمر بالجبال السبحا وهي تجاوبه ، يسمع داود عليه السلام وحده ، أو كل أحد ، وقيل : كانت تسبح معه وتسير معه بالنهار حيث سار .

(٢) « وَالحَدِيدَ » معروف سمى به لأنه منيع ، كذا في الصحاح ، إذ الحديد بمعنى المنع أي جنسه ، جعله ليناً في يده مثل الشمع أو الطعن يطرقه كيف يشاء من غير نار ولا مطرقة ، وكان يتخذ منه الدروع وهو أول مَنْ عملها ، وكانت قبله صفايح . ذكره عمر النسفي ، وقيل : لانَ الحديدُ في يده لما أوتي من شدّة القوة ، أقول : هذا لا ينافي التسخير ، بل هو من المعجزات لكنّ الأوّل أولى ، وتقديمه لكونه أقدم في الوجود .

(٣) « لِدَاوُدَ » عليه السلام ، وفي القاموس والصحاح : اسم أعجمي لا يهمني انتهى .

(٤) « وَسَخَّرْتَ الرِّيحَ » قيل : هو جسم شفاف لا يعقل ولا يدرك بالبصر ، تمّ تسخيرها ـ جريانها بأمره وطاعتها له ـ على حسب ما =

وَالشَّيَاطِينَ(١) وَالجِنَّ(٢) ....

= يريد ، وبأمره ، لنفعه ، ولذا ذكر جميع التسخيرات باللام وفيه إيماء إلى أن الريح والشَّياطينَ والجنَّ مستخدمةٌ لِسُلَيْمَانَ عليه السلام ، أضيفت إليه بلام التمليك والنفع لأنها في طاعته وتحت أمره ، قيل : جعل ريحاً عاصفاً في وقت ، ورُخاء في وقت على حسب إرادته ، وقيل : كان الرخاء في نفسها طيبة كالنسيم عاصفة في عملها ، يبعد في مدة يسيرة ، وقيل : به الرخاء في الابتداء والعصف في الرجوع على عادة البشر في الإسراع إلى الوطن ، وكان يغدو من دمشق فيقبل باصطجر فارس وبينها مسيرة شهر ، ويروح من اصطجر فيبيت ببابل وبينها مسيرة شهر للراكب المسرع ، وقيل : يتغدى بالرَّيّ ويتعشى بالسمرقند . قدم الريح لأنها أعظم وأقوى وأدخل في الإعجاز .

(١) « وَالشَّيَاطِينَ » : جمع شيطان ، والجمع لبيان الكثرة ، قيل : الشيطان صنفٌ من الجن لا نوع آخر ، وقيل : أجسام لطيفة نارية خلقت على الشر ، وقيل : أجسام لطيفة بعقل ، والجامع بينها وبين الريح سرعة الإنتقال .

(٢) « والجِنَّ » : هم أجسام لطيفة هوائية فيهم المؤمن والكافر ، قيل : سخّر الكفار دون المؤمنين ، ومن جملة تسخيرهم يغوصون في البحار له ، لا لأنفسهم ، لاستخراج اللآلىء والرخام ، يبنون المدائن والقصور والمحاريب من الأعاجيب والغرائب ، قيل : الحمام والنورة والطاحود والقوارير والصابون من استخراجهم ، ذكر أبو حبان : تم تسخير أكثف الأجساد لداود عليه السلام ، وهو الحجر بالإنطاق والتسبيح ، والحديد بالتليين كالعجين ، فيجعل في أصابعه =

لِسُلَيْمَانَ(١) وَسَخِّرْ لَنَا(٢) كُلَّ بَحْرٍ(٣) هُوَ(٤) لَكَ(٥) فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ(٦) ....

= قوة النار ، وتسخير ألطف الأجسام

(١) « لِسُلَيْمَانَ » وهو الريح والشياطين - وهم من نار - الغواصون في الماء وهي تطفي النار فلا يضرهم : دليل واضح على قدرته الباهرة ، وإظهار الضد من الضد ، وفيه جمعية لطيفة ومناسَبة لا تخفى ، ولذا خصّهم بالذكر ولم يذكر الإنس والطيور كما في بعض النسخ .

ولعل من الزيادات لسليمان عليه السلام أخره لتأخيره في الوجود ، ثم التفصيلات في المطولات .

والمقصود من ذكر التسخيرات للأنبياء العظام ، على نبينا وعليهم أفضل الصلوات وأكمل التسليمات ، تحريك سلاسل الإجابة ، وتوصل إلى طلب النصيب ذرّة من هذه الكرامة الباهرة ، ولو معونة لطفاً وكرماً ، وتقوية لطلب الميعاد ، وتحقيق للاعتقاد ، شأنه تعالى إعطاء المراد لكل من أراد ، فمنه الإمداد وعليه الاعتماد في المبدأ والمعاد .

(٢) « وَسَخِّرْ لَنَا » ذلك لتنفعنا ، واجعله جارياً بأمرنا تحت مشيتنا ، لتسيير المراكب وتيسير المطالب وحصول المآرب .

(٣) « كُلَّ بَحْرٍ » بالنصب .

(٤) « هُوَ » أي البحر مختص .

(٥) « لَكَ » أنت خالقه ومالكه ومصرفه كيف تشاء ، ويجري بأمرك وإرادتك وقضاءك وقدرتك ، والتسخير لك .

(٦) « فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ » إذ لا مسخِّر لشيء من الأشياء إلا أنت . في =

. . . .

ـــــــــــــــــ

= الأرض أي : في وجهها ، أو في جميع الأرض من البحار السبعة غير الأنهار العظيمة على ما نطقت به الآية الكريمة ، أو جميع مياه الأرض ظاهراً وباطناً جارياً وراكداً ، المقصود طلب السلامة من مضارها ومكروهاتها وجلب منافعها مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، والسماء واللام للعهد أو الجنس ، أي : اجعلها أسباباً لمنافعنا لا لمضارنا فإن قيل : فما وجه طلب تسخيرها ، مع أن الله تعالى قد سخر لنا ما في جهة العلو من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والأمطار ، حتى الملائكة للاستغفار ، وما في جهة الأسفل من الجبال والأشجار والأثمار والدواب والبحار والأنهار وغيرها مما لا يحصى ، كما أخبرها الله وامتن به لعباده بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ﴾ الآية ، قلت : طلب للمزيد والدوام على التمام ، وفيه الاقتداء للشيخ العارف الموثق به عند الكرام .

وفي السماء السابعة تحت العرش بحر يسمى بحر الحيوان ، كما قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ : بحر تحت العرش . ذكر السيوطي عن ابن عمر قال : تحت بحركم هذا بحر من نار ، وتحت ذلك البحور بحر من ماء ، وتحت ذلك البحر من نار ، حتى عد سبعة أبحر من نار وسبعة أبحر من ماء . عن ابن عباس قال : إن هذا الخلق أحاط بهم بحر ، قيل : وما بعد البحر ؟ قال : هواء ، قيل : وما بعد الهواء ؟ قال : بحر أحاط بهذا الهواء والبحر الداخل إلى سبعة أبحر والثامن ، قيل : وما بعد الثامن ؟ قال : ثم انتهى الأمر . انتهى .

وَالمُلْكِ(١) وَالمَلَكُوتِ(٢) . . . .

---

(١) « وَالمُلْكِ » بالجر عطف على البحر أو الأرض وهو الظاهر ، أو بالنصب عطف على الكل المضاف ، كما قيل : أي جنبه أو جميع أفراده من الملك الظاهر والباطن ، كالعقل والعلم والطاعة وقيام الليل والزهد والقناعة والاستغناء عمن سواك ، وملك العافية والصحة وملك النفس منها من اتباع الهوى وقهر إبليس ، وملك الشفقة حتى أرحم الضعفاء والفقراء ، وملك العدالة والجود ، وملك الأخلاق الحسنة ملك التقاة ، وملك محبة القلوب ، وملك الجمال والكمال حتى يحبني الحاضر بالنظر ، والغائب بالخبر ، وملك الاحترام حتى نفرت مني اللئام والهوام ، وملك الدنيا وملك الآخرة الذي هو الملك الكبير المذكور في قوله تعالى : ﴿وَمَلِكاً كَبِيراً﴾ ، أي : الملك الذي لا زوال له ولا انتقال له ، والصحيح : أن الملك عام ولا دليل للتخصص .

(٢) « وَالمَلَكُوتِ » مصدر على أنه للمبالغة من الملك ، كالرحموت من الرحمة والرهبوت من الرهبة ، والجبروت معناه : الملك العظيم والسلطان القاهر ، ثم هل هو مختص بملك الله تعالى أم لا ؟ فقد قيل : الأول أظهر ، قيل : وهو الملك وفيه إذ العطف يقتضي المغايرة ، وقال بعض أهل التحقيق : إن الملك مقابل للملكوت فإن كل شيء له جسمانية كثيفة وروحانية لطيفة ، فجسمانية الظلمات من عالم الملك وهو عالم الشهادة ، وروحانية النورانية من عالم الملكوت وهو عالم الأمر وعالم الغيب .

ومجمل ما قيل : الملك يطلق على عالم الأجسام ، والملكوت =

وَبَحْرَ الدُّنْيَا[١] وَبَحْرَ الآخِرَةِ[٢] وَسَخِّرْ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ[٣] ....

= على عالم الأرواح ، ويحتمل تسخيرها بإرادة ما فيها ، حتى تبلغ من درجة البيان إلى رتبة الإحسان وكمال الإيقان ، لتكون من زمرة الراسخين البالغين مرتبة العيان عن اليقين من معرفة الله المستعان ، فله الحمد في كل حال وآن .

(١) « وَبَحْرَ الدُّنْيَا » مع ما فيه عند الركوب والحاجة بالسهول والسلامة وحصول المقاصد ، وهذا يحتمل التأسيس والتأييد ، فتدبر .

ويجوز الجر والنصب عطفاً على كل أو البحر أو القريب ، قيل : إعادته يتعطف عليه قوله : وبحر الآخرة ، إذ يصح العطف بلا إعادة على ما لا يخفى ، والتفسير بكل بحار لا يخل عن قصور فليتأمل ، وأن تسخيره كناية عن التوفيق في كل شيء والظفر بكل محبوب والحفظ عن كل مهروب .

(٢) « وَبَحْرَ الآخِرَةِ » زاد البحر لئلا يوهم خلاف المقصود ، وهو العطف على البحر تحتمل الكناية عن الفوز العظيم فيها وهو بحر الثواب واللطف والعفو والحساب والكشف والحجاب .

(٣) « وَسَخِّرْ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ » بأنواع تسخيرات ، وكلمة كل للاستيعاب والتناول بجميع ما دخل فيه ، والشيء هنا اسم لكل موجود مخلوق ، لأنه هو الذي يجوز دخوله تحت القدرة ، أي من الموجودات من البحار والأمطار والأشجار والأثمار والشموس والأقمار ، ونفوس الأبرار والأشرار ، وكل جبل وكل حديد وكل ريح وكل شيطان من الجن والأنس ، ومن الحياة والموت والعز والذل والصحة والمرض والسعة والضيق والخير والشر ، وإعطاء =

يَا مَنْ بِيَدِهِ[١] مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ[٢]..................

= الذكور والإناث من الأولاد والخدم والدواب ، وتصريف الليل والنهار والسحاب والحر والبرد وغير ذلك مما لا يحصى ، كل يجري على وفق أمري ، مع رضاك وعدم المخالفة لأمرك ، فإن جميع الخلق تحت قدرتك وقهرك وتسخيرك على ما أردت .

حاصله : كن لنا ملجأ منك إليك ، قال شيخنا صاحب الحزب : كنت في سياحتي فأتيت ليلة إلى غار لا بيت فيه ، فسمعت فيه حس رجل فقلت : والله أشوش عليه في هذه الليلة ، فبت على فم الغار ، فلما كان وقت السحر ، سمعته يقول : اللهم إن قوماً سألوا إقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم ، إني أسألك إعراضهم عني واعوجاجهم علي حتى لا يكون لي ملجأ منك إلا إليك ، ثم خرج فإذا هو أستاذي ، قال : فقلت له : سمعتك البارحة تقول كذا وكذا ، فقال : يا علي ! أيّما خير لك أن تقول كن لي ، أو سخر لي قلوب عبادك ؟ فإذا كان لك كان لك كل شيء ، قلت : فلا منافاة ، إذ للعارفين مقامات بعضها أكمل وأعلى من بعض ، وفقنا الله للوصول إلى حقائق الغايات .

(١) « يَا مَنْ بِيَدِهِ » في قبضة قدرته أو في تصرفه

(٢) « مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ » وزيادة الواو والتاء للمبالغة في الصفة ، أي لطائف كل شيء حقائقه ودقائقه ، أو ربوبيته ومالكيته وسلطانه القاهر على كل شيء ، أو يا من يملك الأشياء كلها أو بيده عجائب كل شيء وخزائنها ، وبدايعه من الأرضين والسموات والعرش والفرش وغير ذلك ، فهو مالك كل شيء بالملك التام الحقيقي ، وهو =

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[١] ....

= المتصرف في كل العالم ايجاد وإعداماً وإبقاء وإفناء وإعادة .

قال الإمام القشيري رحمة الله عليه : بقدرته ظهور كل شيء فلا يحدث كل شيء قل أو كثر إلا بإبداعه وإنشائه ، ولا يبقى ما يبقى منه إلا بإبقائه ، فمنه ظهور ما يحدث وإليه مصير ما يخلق ، وقيل : معنى كون ملكوت كل شيء بيده : أن تصرفه فيه بالذات لا بواسطة الأسباب العادية ، بخلاف ما في عالم الملك والخلق ، فإن تصرفه بواسطة الأسباب والآلات على مقتضى الحكمة ، قيل : ولم يقل وملكه مع أن الملك والملكوت له جميعاً للاكتفاء ، قلت : لا حاجة إلى هذا ، لأن المتصرف في ملكوت كل شيء يتصرف في ملكه بالأولوية ، على أن الشيخ اقتبس ولم يرض التغيير ، قيل : هذه خاتمة يس مشتملة على أسرار عجيبة فتحير فيها الأفهام وتكلّ عن شرحها الألسن والأقلام ، ولهذا قال حبر الأمة ابن العباس رضي الله عنهما : كنت لا أعلم ما ورد في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك ، فإذا أنه لذلك الآية ، ولم يذكر البقية لأن المقصود بيان أنه المالك لكل شيء لا بيان أنه المرجع إليه .

(١) ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ قيل : اسم من أسماء الله تعالى ، ويؤيده ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (كهيعص اغفر لي) قال أبو بكر الأصم : لا يصح عن علي ، لأن هذا لم يذكر في أسماء الله المعروفة التي يدعى بها ، أقول : وعليه منع ظاهر ، وقيل : اسم القرآن ، وقيل : حروف من أسماء الله تعالى افتتح بها السورة ، وقيل : الكاف مفتاح اسم الكافي الكبير الكريم ، والهاء مفتاح اسم =

. . . .

---

* الهادي ، والعين مفتاح اسم العليم ، والصاد مفتاح اسم الصادق ، وقال ابن عباس : الكاف من كريم ، والهاء من هاد ، والياء من حليم رحيم ، والعين من عليم عزيز عدل ، والصاد من صادق وقيل : ثناء أثنى الله على نفسه ، قال : كاف بخلقه ، هاد بعباده ، يد الله فوق أيديهم ، عالم ببريقه ، صادق في قوله . قيل : لم ينزل كتاب إلا وله سر لا يعلمه إلا الله ، وسر القرآن فواتحه .

روي أن جبرائيل عليه السلام (لما نزل بقوله تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فلما قال : كاف ، قال النبي ﷺ : علمت ، فقال : هاء ، قال : علمت ، فقال : ياء ، قال : علمت ، فقال : عين ، قال : علمت ، فقال : صاد ، قال : علمت) فقال جبرائيل عليه السلام : فكيف علمت ما لم أعلم ؟) ذكره بعض المحققين .

قال جماعة : أوائل السور من المتشابهات التي أسر الله بعلمه ، وهي من الأسرار التي بَيْن الله ورسوله ، لا يعلم إلا بنور النبوة ، نؤمن بظاهرها ، ونكِلُ العلم فيها إلى الله تعالى وقيل : في الكاف إشارة إلى كتابة الرحمة على نفسه ، قبل كتابة الملائكة الذلة على عباده ، والهاء يشير إلى هداية المؤمنين إلى عرفانه وتعرف هويته ، بل استحقاق جلال سلطانه ، وتعريف هيبته للمؤمنين ، وما له عليهم من الحق بحكم إحسانه ، والياء : إشارة إلى يسر نعمته بعد عسر محنته ، إلى يده البسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده ، والعين : يشير إلى علمه بأحوال خلقه سره وجهره قله وكثره ومآله وحاله ، والصاد : يشير إلى أن الصادق في وعده ، كذا ذكره النسفي .

انْصُرْنَا(١) ....

= قال القشيري : في هذه الحروف تعريف للأحباب أسرار معاني الخطاب بحروف خص الحق تعالى ، وقيل : أقسم الله تعالى بكفايته وهدايته ويمينه وعلو صدقه .

وعن سعيد بن جبير : هي أسماء الله تعالى مقطعة ، لو أحسن الناس تأليفها علموا اسم الله الأعظم ، ألا ترى أنك تقول : ا ل ر ح م ن فيكون الرحمن ، وكذلك سائرها ، إلا إنا لا نقدر على وصلتها ، وقيل : هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، ولذا قدم على طلب الحاجات ، فكأنه قال : بحرمة هذا الاسم الأعظم ، انصر إلى أخره ، وفي تصديرها إلى الدعوات مناسبة لا تخفى ، ووجه التثليث مر ، وقيل في وجهه : تنبيهاً للنفوس على عظمته وتهييجاً لها والاستناد بحديث ألا هل بلغت ـ ثلاثاً ـ غير ملائم للمقام ، كما لا يخفى على ذوي الأفهام ، ويحتمل أنه ناظر للسياق والسباق ، أما الأول : فلأن الختم به إيماء إلى أنه بمنزلة البرهان ، على ما ذكره ، وأما الثاني : فلأن افتتاح الدعوات بالأعظم طلب القبول رجاء للوصول إلى المأمول .

(١) « انْصُرْنَا » على ترك الخلق في الإقبال إليك ، فإن من حق المولى أن ينصر عبده ومن يتولى أمره ، إنجازاً لوعدك الجميل ، كما قلت : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قوماً لأنه الأعم الأشمل في الأكوان ، ومطلوب الأخيار في الأحيان ، كما في مواضع كثيرة من القرآن ، لأن أقصى المطالب وأعلاها إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله ، والاحتياج إليه فيه أتم . =

. . . .

= وحذف المفعول لقصد العموم والشمول ، أي : انصرنا أنواع النصرة الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة .

أما الأولى : فعلى الأعداء من الجن والإنس والنفس وغيرها ، أعنا عليهم بتقويتنا بإقامة الحجة والغلبة في محاربتهم ، بإلقاء الرعب في قلوبهم والقهر والهزيمة والانتصار ممن أذانا وأهاننا بحضرتنا أو غيبتنا ، وامنع شرورهم عنا ، انصرنا بالتوفيق على إعزاز دينك ، وإظهار كلمة الحق مع الإصابة إليه في جميع الأمور ، ودفع تسويلات الشيطان وتيسير الأمور والنجاة من جميع المكاره ، وإملاء الباطن بالنور وقوة النفس وحصول الذكر الجميل في الآخرين ، وبالبقاء الآثار الجميل والاقتداء في الخيرات ، ومزيد الثواب على وجه الدهر وغيرهما مما لا تحصى ، وأعظمها التثبيت على الصراط المستقيم مع الختم على خير الخاتمة ، والعاقبة الحسنة الكاملة ، والبشرى الموعودة للمتقين ، يسرنا الله تعالى بحرمة الأنبياء والمرسلين عليهم من أفضل الصلوات وأكمل التسليمات إلى يوم الدين ، فهذه بعض نصر الله في الدنيا .

وأما نصرته تعالى في الآخرة : فبتوسيع القبور وتسهيل النشور وتيسير العبور ، وتثقيل الميزان وأخذ الكتب بالميزان ، وإعلاء الدرجات وجزيل المثوبات ، والتعظيم على رؤى الأشهاد ، والرزق الذي ليس له النفاد ، ورفقاء الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وغيرها مما لا يحصى ، وأعظمها : نعمة الرضا ، ورؤية الجمال مع رضاء الله المتعال ، وفقنا الله بحرمة حبيبه سراج

فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ(١) وَافْتَحْ لَنَا(٢)..........................

= أصحاب الكمال ، عليه أفضل الصلوات الأحمدية بالغدو والآصال ، فهذا جامع بجميع مرام الدارين ، من قرأ لأجل الظفر والنجاة من الأعداء ، فليقل بعد قوله انصرنا : إحدى وعشرين مرة إني مغلوب فانتصر ، وانصرنا على القوم الكافرين ثم يقول :

(١) « فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » يعني : لا نطلب النصرة إلا منك لأنك خير الناصرين ، لأن نصرتك حقيقة ونصرة ما سواك مجازية ، إنما هي بمشيتك وأفضالك ، فنستغني عن نصرة الخلق ولا يستغني أحد عن نصرتك ، فحق أن يخص الاستنصار بك ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ، ولأن دوران كافة الأمور على مشيتك ، فلا يذل من نصرته وإن قل عدده ، ولا يعز من خذلته وإن كثرت أسبابه وعدده ، وفيه تقوية لكمال الاعتماد بنصر الله وتوفيقه وإخراج الوسائط من البين ، وملاحظة المسبب في كل الأمور ، من الدعوات المستجابة لشعيب عليه السلام :

(٢) « وَافْتَحْ لَنَا » عقيب النصر بالفتح لأنه من ثمراته وعملاً بترتيب القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ وغيرهما ، ـ أي لمنافعنا ـ جميع المشكلات الحسية والمعنوية ، والفتوحات الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية ، افتح لنا حواس القلوب بنورك ، وافتح أسماعنا وأبصارنا وأبواب خزائن الرزق والدعاء والرحمة والعلم والمعرفة والفضل والتوبة والمغفرة ، وافتح أبواب السماء لأعمالنا الصالحة ولروحنا ، وأبواب الجنة لدخولنا بمواعيدك الصادقة ، قيل :

=

فَإِنَّكَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ[1] ....

- الفتوح ثلاثة : فتح قريب وفتح مبين وفتح مطلق ، وهو الشهود للذات والفناء عن الكل .

وقال بعض العارفين : افتح لنا أستار الملك والملكوت واكشف لنا أسرار الجبروت ، وأظهر لنا تجليات الأفعال والصفات والشهود للذات ، وأبرز لنا كل ما أشكل وأغلق من الحكم والأحكام ، واطلع على جميع مراتب الأنبياء والأولياء ، وقيل : ظهر أمرنا حتى نميز المحق من المبطل ، والحذف للتعميم ، والكل يحتمل فلا حصر ، فهذا مرجوّ مع الكلم ، ومجمل القول : افتح لنا كل الخير في الدارين إذ بعنايتك تنفتح أبواب الخيرات والمغلقات ، قال بعض العارفين : علامة الفتح أن ترى الناس نياماً .

(١) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ » فإن مفاتيح الأمور بيدك ، ولا فاتح في الحقيقة لشيء من الأشياء إلا أنت ، أو خير الحاكمين أعلمهم وأعدلهم وأحكمهم ، لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل ، ولا محاباة في حكمك ، ولا ميل ولا خلل ولا ذلل ، ولا رشوة ولا شفاعة ، ولا يمنعه عن إمضائه أحد كقضاة الزمان وقطاع طريق الرحمن ، أنه يفتح للنفوس بركات التوفيق ، وللقلوب درجات التحقيق ، فبتوفيقه تزين النفوس بالمجاهدات ، وبتحقيقه تزين القلوب بالمشاهدات ، قيل : من أراد حلّ الأمور المعقودة ، فليدم بهذا المحل بعد قوله : وافتح قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ أربعمائة وثمانية وثمانين مرة ، ثم يقول : لنا فإنك خير الفاتحين .

وَاغْفِرْ لَنَا(١) فَإِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ(٢) وَارْحَمْنَا(٣) فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ(٤)

---

(١) « وَاغْفِرْ لَنَا » ما تقدّم وما تأخّر من ذنوبنا ، أحسن حيث قدم سؤال المغفرة على طلب الرحمة ، وقد قيل : كل ما حجبك عن الله فهو ذنب .

(٢) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرِينَ » لأنك تمهل ولا تعاجل ، وتغفر الذنب الكبير وكل من سواك إنما يغفر الذنب طلباً للثناء الجميل والثواب الجزيل ودفع ضر ، وأنت تغفر لعبادك بلا عوض ولا غرض ، بل لمحض الفضل والكرم ، ومن أراد الدخول على الملوك والسلاطين ، والأمن من مكرهم فليواظب في هذا المحل اسم الغفور ألفاً وستة وثمانية مرة ، قلت : إذا دعت الحاجة الشرعية واقتضت المصلحة الخيرية وإلا فلا يجوز الدخول على الظلمة .

(٣) « وَارْحَمْنَا » بطاعتك واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء ، المغنية عن رحمة من سواك ، بإفاضة آثار الرحمة الدنيوية والأخروية علينا ، سيما عند بكاء الأحباء ويأس الأخلاء ، وعند كثرة الأنين وعرق الجبين ، وعند مواراة التراب وموادعة الأحباب ، وعند نسيان الاسم وبلاء الجسم واندراس الرسم ، أو : ارحمنا بمحو السيئات وتوفيق الطاعات في الحركات والسكنات ، ومن آثار رحمته فتح باب الدعوات والعبادات وقبول الحاجات .

(٤) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ » أي : أنت أرحم بنا من كل رحيم حتى من أنفسنا ومن الأبوين ، فإن رحمتك إذا أدركت أحداً أغنيته عن رحمة العالمين ، ورحمة الخلق لا تغنيه عن رحمتك ، ومن راحم إلا ويرحم برحمتك ؟ فلا راحم سواك إلا صورة وحكماً ، ولا راحم إلا =

وَارْزُقْنَا[١] ....

= أنت في نظر العالمين ، وفي الحاشية : من أراد التقرب إلى قلوب الناس والأمن من مكرهم فليقرأ في هذا المحل تسعاً وتسعين مرة : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ وبعد مائتين وتسع مرات يا رحيم ، وزاد البعض : يا وهاب يا غني ، ثم يقول :

(١) « وَارْزُقْنَا » أي : رزقاً حسياً أو معنوياً أو روحانياً وجسمانياً دنيوياً وأخروياً ، كالحلال الطيب الملائم للقوة ، معيناً على الطاعة مقيماً للعبادة ، من طيب المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، وجميع العلوم النافعة والأعمال الرافعة ، والأحوال العالية والمقامات المتعالية ، والتوفيق للرأي السديد والأمر الرشيد ، واصطناع المعروف للمستحقين ، والقضاء على أيدينا حوائج الناس ، والقبول عند الملوك ، والكلام بالحجة التي لا يرد ولا يدفع بها ، وارزقنا اتّباع الحق واجتناب الباطل ، مع زوال الحرص والطمع والقناعة بالموجود ، وترك الحزن على المفقود ، والرضاء بالميسور والصبر على المقدور ، والتقوى والكرامة وأنواع الاستقامة ، والتوبة والمغفرة والختم بالسعادة ، وارزقنا رزقاً حسناً هو على ما قال إمامنا القشيري : ما كفى به صاحب كد طلب ، ولم يصب نصب بسببه ، وقيل : الرزق الحسي وجد غير مرتقب ولا محتسب ولا مكتسب ، وقيل : هو ما سبق فيه شهود الرزاق ويختطفه عن التنعيم بوجود الإرفاق ، واجعلنا من عباد الله الرزاق ولا تجعلنا من عبيد الأرزاق ، وهم الذين ليس لهم مكنة التصرف كالحكيم الرباني ، فتصرفاتهم مغلوبة بالشهوات والحظوظ النفسانية . =

فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(١) ....

= وقال الإمام القشيري : من عرف القسمة استراح عن كد الطلب ، وإن المعلوم لا يتغير والمقسوم لا يتقلل ولا يتكثر ، أو ارزقنا من بركات الأرض والسماء ، لأن الأرزاق يخرج من الأرض وأسبابها متعلقة بالسماء من المطر والشمس والقمر في الإنبات والاتضاح والتلوين ، أو رزقاً كريماً جليل القدر لا يفنى ولا ينقص ولا يتكدر صافياً عن كد الاكتساب وخالياً عن حفر الحساب يوم يقوم الحساب ، أو ارزقنا جميع حسنات الدنيا وحسنات الآخرة مع الوقاية من النار ، فيرجع إلى قوله تعالى : ربنا آتنا إلى آخره ، وهو دعاء جامع بجميع مطالب الدارين ، أو ارزقنا الإحسان واليقين الصادق وحقيقة المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء ، فبهذا الاعتبار لا شك أن هذا الدعاء من جوامع الكلم .

(١) « فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » أي المُعطين إذ لا رزاق إلا الله ، والذين يظنونهم هم رازقين أو رزقاً مجازياً ، فإن العبد إذا أعطى غيره شيئاً فالله هو المعطي ولكن لأجل صورة العطاء منه يسمى مُعطياً ، كما يقال للصور المنقوشة على الحائط فرس أو إنسان ، فالغير واسطة لإيصال رزقه لا حقيقة له ، وقيل : إنه تعالى رزاق حقيقة دون العبد فلا تفضيل أحدهما على الآخر ، لأنه لا يقتضي الشركة في أصل الفعل حقيقة وفيه ما فيه فليتأمل ، ولأنه موجود الأرزاق وما سواه ينقل ويحول لأن رزقك ماله من نفاد ، ولأنك ترزق العبد العاصي =

. . . .

= كما ترزق الصالح المطيع ، ولا تترك رزق أحد وإن كثر عصيانه ، وترزقه في حال غضبك كما ترزقه في حال رضاك بخلاف غيرك ، ولأنك قادر على إيصال الرزق والزيادة بما شاء لمن تشاء ، وليس الخلق كذلك ، فالله خير من يعطي ويرزق ، لأن ما سواه من سلطان يرزق جنده والسيد يرزق مملوكه والرجل يرزق عياله ، فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء .

هو الرازق الحقيقي الذي يرزق في الأصل والفرع بلا عوض ولا غرض ، بخلاف الأصل فإنه يرزق الفرع مع العجز والكراهة ، وهو ينهى عن قتل الأولاد خشية الفقر ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وهو غني عن سؤال الرزق من أحد وكل يسأل منه الرزق ، قال الله تعالى : ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ فالاتكال في أمر الرزق ليس إلا على خير الرازقين .

وحاصل المعنى : نسألك الفقر عما سواك ، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك ، ومن طلب الرزق فليقل في هذا المحل ثلاثمائة وسبع مرات : يا رزاق يا وهاب يا غني ، ومن أسباب توسيع الرزق : الدوام على الطهارة والاجتناب من أسباب الفقر وأعظمها الذنوب ، والملازمة بأسباب الغنى من الآيات والدعوات والأذكار ، كالإكثار بالحوقلة ، والمواظبة على سورة يس والواقعة كل ليلة ، والملازمة بالاستغفار ، ولا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة ، وقراءة الإخلاص حين دخول المنزل ، ومن الأفعال :

وَاهْدِنَا(١) وَنَجِّنَا(٢) مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٣) وَهَبْ لَنَا(٤) رِيحاً طَيِّبَةً(٥)

= صلة الرحم وغسل اليد قبل الطعام وبعده ، وأن يقرأ اسمه الرزاق قبل الفجر في كل ناحية من نواحية البيت عشراً يبدأ باليمنى ، والقبلة تستقبل في كل ناحية إن أمكن ، ذكره السيوطي وغيره .

(١) « وَاهْدِنَا » أي : أرشدنا إلى الحق في جميع أمورنا وإلى طريق النجاة من أعدائنا وثبتنا على الصراط المستقيم .

(٢) « وَنَجِّنَا » أي : خلصنا مع أهلنا وأصحابنا برحمتك ، إنجازاً لوعدك الحق لقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(٣) « مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » من شرورهم وفتنتهم وشماتتهم ، واحفظنا من مخالطتهم وصحبتهم وإلفتهم وعشرتهم ومحبتهم وعن التشبه بهم ، والتزيّي بزيهم ومهنتهم والرضاء بظلمهم وتعديهم وتعظيمهم ومدحهم ، والأخذ من حرام أموالهم ولحوقهم والنظر إلى دورهم ووجوههم ، والاشتياق بلقائهم حذراً عن الدخول تحت ركونهم ، ومن العقوبات النازلة بهم في الدنيا والآخرة ، قيل : إن قُرِءَ لأجل النجاة من الظلمة ، فليقرأ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ مائة وثلاثة وعشرون ، وعن محمد الحنفي : كان يلقن الخائف من الظالم (بسم الله الخالق الكبير حرز لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل) ، كذا في الطبقات الشعرانية .

(٤) « وَهَبْ لَنَا » معاشر المسلمين من لدنك

(٥) « رِيحاً طَيِّبَةً » لأن بيدك خزائن الرياح وتصريفها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وغيرها ، وهي جسم لطيف شفاف غير مرئي ، قيل : سميت ريحاً لأن الغلبة مجيئها إذا هبت بالروح والراحة ، كما أن انقطاع =

. . . .

= هبوبها يجلب الغم والكرب ، والتوصيف بها يخرج لضر لنا ومالنا أي في البر والبحر في الأوقات ، أما في البر : فكالريح التي تنفع الأشياء عند هبوبها كالحدائق والكروم والزروع والبساتين ، وكالريح التي تهب عند حرارة الهواء يحصل لنا بها برودة الماء والحياة ، والتي يرسله الله بشراً بين يدي رحمته ينشر السحاب وتنزل المطر ، وأما في البحر : فكالريح الموصلة إلى المطلوب بلا أذى مع الأمن والسرور ، أو فيها من ريح النصر على الأعداء ، كريح الصبا والأسحار كما وقع لسيدنا ﷺ ، (**وقال : نصرت بالصباء**) الحديث ، وهي ريح يستريح بها المرضى والمحزونون عند هبوبها ، ولذا يستمد بها العشاق ، وريح الأسحار التي تهب من تحت العرش تحمل أنين المذنبين وحنين المستغفرين إلى جناب رب العالمين ، كما روي : أن الله خلق من قدرته ريحاً طيبة تهب وقت الأسحار فتمر بالجنة ، ثم تهب في الدنيا في وجوه المجتهدين ، ولهذا تكون وجوههم براقة إذا أصبحوا ، وتخفف المرض والوجع على أهل الشدة ، فتحمل أنين المذنين واستغفار المستغفرين إلى رب العالمين ، والمراد من الريح الطيبة لينة الهبوب ساكنة ، لا شديدة الهبوب ولا تضر بشيء ، لا ضعيفة ولا عاصفة ، الكافية بالإيصال إلى بغيتنا في البحر والبر بالأمن والسرور العظيم والنفع التام ، وهي ريح رحمة ونصرة كريح الصباء ، لا عذاب فيها بالنسبة إلينا ، كما قال الله تعالى : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وقيل : رضية كالنسيم مسخرة بأمرنا تهب حسب إرادتنا موافقة =

. . . .

ـــــــــــــــــ

لمقصودنا موصلة في مدة يسيرة إليه ، وقيل : لينة يستطاب هبوبها ويستقيم مرور السفن بها مع أمنها وسلامتها ، وقال ابن المرزوق : والريح النافعة للسفن إنما يكون من جهة واحدة ، ولذا وحّد الريح ، وقد ورد أنه ﷺ كان يقول إذا رأى ريحاً : « **اللهم اجعلها رياحاً لا ريحاً** » .

أقول : قوله من جهة واحدة من خلفها أو جنبها يميناً ويساراً لا القدام فتأمل ، قوله : وحد الريح ، قيل : يستعمل للجمع والإفراد وههنا للجمع ، لشموله جميع الرياح الطيبة حتى ريح الجنة ، عن أنس قال رسول الله ﷺ : « **الجنوب من ريح الجنة** » وذكر السيوطي عن كعب : لو احتبست الريح عن الناس ثلاثة أيام لأنتن ما بين السماء والأرض ، وقال وكيع ابن الجراح : لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا ، ومن هذا قيل : إن الريح من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى على الخلق ، لينشأ منها من المنافع ، من أعمها : أنها مادة نفس كل حيوان ، بحيث لو انقطع ساعة لمات ، ولولا تحرك الرياح لما جرت الفلك ، فلو أراد جميع الخلق قلب الريح من الشمال إلى الجنوب ، أو تحريكه إذا سكن ، لا يقدر أحد إلا الله ، ومن قدرته الباهرة اختلاف مهباتها وصفاتها سخونة وبرودة ، قسوة وليناً ، ضعفاً وقوة ، ومنافعها في الأبدان والزروع وغيرها ومضارها فيها .

وعن ابن عمر قال : الرياح ثمان : أربع منها رحمة ، وأربع عذاب ، وأما الرحمة : فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ، وأما العذاب : فالعقيم والصرصر وهما في البر

كَمَا هِيَ[١] فِي عِلْمِكَ[٢] وَانْشُرْهَا[٣] عَلَيْنَا[٤] مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ[٥]

= والعاصف والقاصف وهما في البحر ، عن عثمان الأعرج قال : إن مساكن الرياح تحت أجنحة الكروبين حملة العرش الحديث انتهى .

(١) « كَمَا هِيَ » إن مثل الريح الطيبة .

(٢) « فِي عِلْمِكَ » أي : موافق لما في علمك القديم الذي هو فوق كل عليم ، لا في علمنا ، فإنا عاجزون وبعقولنا قاصرون وبحقائق الأمور جاهلون ، بل لك الأمر والعلم ، فلا تكلنا إلى عملنا وعقلنا واختيارنا ، أحال على علمه تعالى لأن المرء لا يميز الطيب من الخبيث ، ولا يعرف العواقب ، فسأل ما هو خير وأطيب عنده لا في زعمنا .

وكان شيخنا المؤلف الشاذلي يقول : لا تختر من أمرك شيئاً ، واختر أن لا تختار ، وفِرَّ من ذلك المختار ، ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة وكل مختارات الشرع فهو مختار الله ليس لك من الأمر شيء ، ولا بد لك من السمع والطاعات والرضاء به وبما يختاره ، والتفصيل في فتح القوي للحزب النووي ، وقد بسطنا القول فيه بما لا مزيد عليه .

(٣) « وَانْشُرْهَا » أي أبسط هذه الريح الطيبة مع البركات الكثيرة ، والمنافع المتوافرة بواسطة الملائكة .

(٤) « عَلَيْنَا » على مراكبنا ومنازلنا المحتاجة إليها ، أو انشر رياح الهداية والمعرفة والتوفيق على قلوبنا بالدوام والثبات والتحقيق .

(٥) « مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ » التي مفاتيحها بيدك لا يحكم فيها غيرك ولا نفاد لها مع بقائك ، إما متعلق بأمرين أو بآخرين ، وأثبت =

وَاحْمِلْنَا بِهَا[١] حَمْلَ الْكَرَامَةِ[٢]........................

= الخزائن للريح إذ ما من شيء إلا وهو مخزون عنده ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ، وهي جمع الخزانة وخزينة ، وهي اسم المكان الذي يخزن ويحفظ فيه نفايس الأموال بحيث لا تصل إليه الأيدي ، شبه رحمته تعالى بالأشياء المخزونة في الخزائن عن طريق الاستعارة ، ثم أفرد الرحمة وجمع الخزائن لبيان كثرة الرحمة وغلبتها على نقمتها وإيضاح الشمول للأنواع .

وقال إمامنا القشيري رحمة الله عليه : من عرف أن خزائن الأشياء عند الله تعالى تقاصرت خطاه عن التزداد إلى منازل الأغيار في طلب الإرفاق ، وعن الطواف في الآفاق في طلب الأرزاق ، وينقطع آماله عن الخلق فينفرد قلبه بالله ، ويتجرد عن التعلق بغير الله ، إن أراد نفوذ الأمر وعلو الدرجة وطاعة الناس له فليقل مئتين وثمانية مرات : يا عطوف يا رؤوف يا كريم يا رحيم ، ثم يقول : رحمتك .

(١) « وَاحْمِلْنَا بِهَا » أقول : المراد منه ما يرضاه الله تعالى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانقياد الناس له في الأمور الشرعية وقبولهم الحق ، لا ما يزعمه أرباب الدنيا وأصحاب الهوى والعمى ، واحملنا أي في برك وبحرك على فلكك وعلى دوابك حملاً محفوظاً بأنواع نصرتك وأصناف رحمتك ، كما حملت نبيك نوحاً عليه السلام في الفلك المشحون ، بها : أي بريح طيبة أو برحمتك .

(٢) « حَمْلَ الْكَرَامَةِ » سفينة النجاة مع الوقاية من كل الآفات ، حملاً خفيفاً ولا مشقة ولا تعب ، أو حملاً يشبه الكرامة في خرق العادة لقطع المسافة البعيدة في مدة قليلة وغيره مما لا تحصى ، أو حمل =

مَعَ السَّلامَةِ[١] وَالعَافِيَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[٢]. . . . .

= معونة لا بحمل الأشد ، أو حملاً هو كرمك وفضلك ليس لنا استحقاق به ، أو محمولاً على الكرامة ، أو يحمل الذي يحمل الناس على الكرامة ، أو حملاً كريماً أو مكرماً ، والإسناد مجاز ، أو احملنا على سبيلك بريح التوفيق مع سفائن التصديق في بحار التحقيق إلى نهاية مراتب الحق الحقيقة .

(١) « مَعَ السَّلامَةِ » أي : حملاً مقارناً لسلامة المراكب والنفوس والأموال والأهل والعيال والدين المرضي عند الملك المتعال ، وسلامة الحال والمآل على الكمال ، قيل : السلامة من الآفات الدينية والحادثات الدنيوية بتحملها والصبر عليها والرضاء بقضاءها .

(٢) « وَالعَافِيَةِ » بدوامها وتمامها والشكر عليها ، أنت وليها أي من جميع العلل والبلايا ، أي من كل مكروه ، وقيل : هي لغة رفع العفا وهو الهلاك ، والمراد بها : أن يكون للرجل كفاف من القوت وقوة للبدن على العبادة ، بحيث لا يمنعه عن الأشغال بأمر الدين علماً وعملاً ، وبترك ما لا ضرورة فيه ، ولا خير في وجوده ، ولذا كان الشيخ الشبلي إذا رأى أحداً من أرباب الدنيا الفانية قال : اللهم إني أسألك العافية ، وفي الصحاح : هي دفاع الله تعالى العبد قبل العافية لا يكلك إلى غيره ، وقيل : هي نفس بلا بلاء وصاحب بلا جفاء ورزق بلا عناء وعمل بلا رياء وتجارة بلا رباء .

وسئل حكيم : ما العافية عندكم ؟ قال : دين قويم وقلب سليم وبدن سقيم والتوكل على الكريم ، وقيل : هي فرار القلب مع الله تعالى لحظته ، وقال الشبلي : هي سلامة الدين من البدعة والعمل =

. . . .

من الآفة والنفس من الشهوة والقلب من الأمنية ، وقيل : حقيقة العافية بقاء العبد مع الله ، وهي على ثلاثة أقسام : عافية العام : أن يكون لسانه رطباً بذكر الله فلا يشتغل بذكر غير الله مع الله ، وعافية الخاص : أن يكون أركانه مشغولاً بخدمة الله عن خدمة غير الله ، وعافية أخص الخواص : أن لا يكون همته إلى غير الله ، وقيل : هي استقامة في الدين ومصاحبة الصالحين وزيادة الطاعات على ممر الساعات والوصول إلى أعلى الدرجات .

وقال ذو النون المصري : العافية في قميص العبودية إلى أبد الآبدين .

سئل أبو بكر الوراق : ما العافية ؟ فقال : أن تختم للعبد بالشهادة ثم يبعث في زمرة أهل الولاية ، يمر جسر جهنم بالسلامة ثم يدخل الجنة ، فذلك العافية ، وقال بعض العارفين : هي عشر خصال : خمس في الدنيا ، أي : العلم والعمل والإخلاص والشكر والرضاء بالقضاء ، وخمس في الآخرة أي : بياض الوجه ورجحان الميزان بالحسنات والجواز على الصراط والنجاة من النيران والدخول في الجنان مع رؤية الجمال والرضاء للرحمن ، ولذا قيل : لا كلمة أجمع من لفظ العافية ، ومن ثم لما سأله ﷺ عمُّه العباس أن يعلمه دعاء يدعو به ، اختار لفظها فقال : « **يا عم إني أحبك سل الله العافية في الدنيا والآخرة** » .

وقد ورد في الحديث في الدر المنثور : « **ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إني أسألك العفو والعافية** » لأنها لفظة جامعة

. . . .

= لخيرات الدارين وفلاح الكونين وسلامة المنزلين ، ولأن الله تعالى ما سئل شيء أحب إليه من سؤال العافية ، كما ورد ، ولذا قال إمامنا السيوطي في شرح مسلم : وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدِّين والدُّنيا والآخرة انتهى ، لكن أعظمها العصمة من الذنوب والأغيار ولذا قيل لحاتم الأصم : ألا تشتهي ؟ قال : أشتهي عافية اليوم إلى الليل ، فقيل له : أليست الأيام كلها عافية ؟ فقال : إن يوم عافية يومي أن لا أعصي الله فيه ، فظهر من هذا أن اللائق للعبد الصادق أن يصرف أكثر دعواته على العافية في خلواته وجلواته لا على المقصود العقيم ، كحال الذي هو شأن اللئيم .

وقد روي أن شيخنا أبا العباس المرسي قدس سره خرج من المدينة عازماً لزيارة سيدنا حمزة رضي الله عنه ، فتبعه رجل فانفتح للشيخ باب التربة من غير مفتاح ، فدخل فرأى رجلين من الغيب ، فسأل العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، قال : فرجعت إلى رفيقي فقلت له : أدركت الإجابة فاطلب مقصودك من الله تعالى ، فسأل الله ديناراً ، فرجعتُ ، فلما دخلت باب المدينة ناوله رجل ديناراً ، فدخلت على شيخي السيد أبي الحسن الشاذلي فقال للرجل قبل نقل القضية : يا دنيّ الهمة ! أدركت وقت الإجابة وسألت ديناراً ؟ لم ما سألت العفو والعافية مثل أبي العباس ؟ ذكره المولى علي القاري .

« فِي الدِّينِ » : أي المعهود الذي هو خير أديان البرية ، والظاهر

إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[١] ....

= على الدين كله وهو الإسلام المرضي عند الله تعالى ، وذكره لأن الخير كله في سلامة الدين ، ولأن المشقة في السفر سيما للفقير غالبة ، ولذا كان قطعة من العذاب ، فربما كان سبباً لإهمال بعض أمور الدين ، وتقديمه على الكل لأنه المقصود من الكل فيحتاج إلى مزيد العناية وفرط الاهتمام ، أي بالطاعة لك والتوكل عليك ، والرضاء بقضائك والشكر على نعمائك ، وغيرها من خيرات الدين .

« وَالدُّنْيَا » : أي التي هي دار الأعمال النافعة ، فصلاح حالي وفلاح مآلي بالأمن والرفق والصحة والغنيمة وغيرها من بركات الدنيا ، قدمها على الآخرة لتقدمها ولكونها مزرعة لها .

« وَالآخِرَةِ » : أي السلامة الأخروية عن الكدورات النفسانية والأحزان الروحانية ، والأمن من الفزع الأكبر في الظلال العرشية ، مع الفوز العظيم والعافية الأبدية ، وهذه هي البغية العظمى والغاية القصوى ، وحاصله : مع السلامة من كل آفة دينية أو دنيوية أو أخروية ، والعافية من جميع المكروهات الظاهرة والباطنة في الدارين .

(١) « إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » أي : جميع المقدورات من الممكنات ، فإن قدرتك عالية عليها ، كل مما ذكر من الكفاية والتثبيت والتسخير والنصر والفتح والترزيق والهداية والنجاة والهبة والنشر وإعطاء السلامة والعافية ، فهو كالبرهان لما سبق مع تقوية الرجاء ، ثم قيل : ومن أراد عمارة الأملاك فليقرأ في هذا المحل : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ الآية مئة مرة ، ثم يقرأ :

اللَّهُمَّ(١) يَسِّرْ لَنَا(٢) أُمُورَنَا(٣) مَعَ الرَّاحَةِ(٤) لِقُلُوبِنَا(٥) وَأَبْدَانِنَا(٦)

---

(١) « اللَّهُمَّ » أي : أدعوك بجميع أسمائك وبجميع الدعوات ، أو يا الله الجامع بجميع الأسماء الشاملة لسائر الثناء ، وقال السيوطي في الإتقان : هي الاسم الأعظم لأن الله دال على الذات ، والميم على الصفات التسعة وتسعين ، فالمعنى : يا من اجتمعت له الأسماء الحسنى وتحققت له الصفات العليا ، ولذا صدّر في أول الدعوات :

(٢) « يَسِّرْ لَنَا » أي سهّل بالإعانة والتوفيق

(٣) « أُمُورَنَا » الدينية والدنيوية والأخروية كلها ، إنك أنت الميسر لكل عسير ، وفي شرح القديم : لسهولة المراد وزوال عسره كلها ، اقرأ بقول : يا ميسر كل عسير يسر مرادي بفضلك الواسع ثلاثمائة وعشر مرات ، وقبله وبعده سبع مرات ويمسح يديه على وجهه ثم يقول :

(٤) « مَعَ الرَّاحَةِ » أي الاستراحة من غموم الدنيا وهمومها رهبة وخطرة وفكرة وإرادة وغفلة ، أو النشاط والسرور والطيب ، أو الاستراحة عن التعب ، أو مع القوة والنصرة والرحمة الهادية ، أو الحياة والثبات .

(٥) « لِقُلُوبِنَا » عن الوساوس الشيطانية والأكدار النفسانية ، والآراء الفاسدة والتخيلات الكاسدة مما لا خير فيها قدّمه لأنه المطاوع .

(٦) « وَأَبْدَانِنَا » جمع بدن ، في القاموس : البدن من الجسد سوى الرأس ، وفي المغرب : من المنكب إلى الألية ، وفي الصحاح : بدن الإنسان جسده ، وفي البحر : اسم البدن يشتمل على الظاهر والباطن ، والمراد هنا : جميع الجسد بناء على قول البعض ، أو التجوز أو العرف ، فلا يرد ما قيل بأن الفرق بين البدن والجسد فإن =

وَالسَّلامَةِ[١] وَالعَافِيَةِ[٢] ....

= الأطراف خارج عن الأول داخل في الثاني ، فحقّ المقام ذكر الأجساد بدل الأبدان ، قال الغزالي : لا طريق للبقاء واللقاء إلا بالعلم والعمل ، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ، انتهى . ولذا طلب السلامة ، أي : لأجسادنا من العاهات البشرية والآفات السماوية والتّبِعات النفسانية .

(١) « وَالسَّلامَةِ » بالجر عطف على الراحة وهو الظاهر ، أي سلامتها إما سلامة الأبدان ، من العيوب والذنوب وإما سلامة القلوب من الكفر والشك والشرك والنفاق وجميع سوء الأخلاق ، ومن آفة المال والنفس من حب الدنيا والهوى والبدع ، وعما سوى الله لا يكون فيه هم إلا الله ، وأن لا يزيل تغير الأحوال يقينه ، ولا يقطع جفاء الخلق شفقته ، وبالتوفيق للقربة والإنابة والزهد والورع واليقين والرضاء .

قيل : القلوب خمسة : القلب الميت للكافر ، والقلب المريض للمنافق ، والقلب الغافل للعاصي ، والقلب المنيب للتائب ، والقلب السليم للعارف ، وفيه بحث فليتأمل . وبالنصب عطف على الأمور بعيد ، أي : مع السلامة عن كل مكروه في الدين والدنيا والآخرة وسلامة الدنيا من فتنتها وغوائلها وغمومها ، وسلامة الآخرة من شدائدها وأحوالها وأحزانها وعذابها وحسابها ، وسلامة الدين من البدع والمنكرات والأسباب التي تنزل في آخر الحال ومما يخل بالكمال .

(٢) « وَالعَافِيَةِ » في الأمور كلها في الدارين من المحن وسوء القضاء والبلايا الظاهرية الحاجبة فيها من العطايا السنية ، والخلاص والتعلّق =

فِي دُنْيَانَا(١) وَدِينِنَا(٢) وَكُنْ لَنَا(٣)........................

= بالخلق ، وفيه امتثال لأمره ﷺ فإنه قال ﷺ : « **إذا سألتم الله شيئاً فاسألوه العافية** » كذا قيل

(١) « **فِي دُنْيَانَا** » متعلق بالسلامة وقرينها ، أو بالتيسير ، ويحتمل التنازع على رأي ، والتقديم هنا كتقدمه على الدين ، ولتوقف حصوله وحفظه على السلامة في الدنيا والعافية فيها ، وفي بعض النسخ : بتقديم الدين فهو الظاهر رواية والمناسب لما سبق ، وعَدُّه تكلفاً ومخالفاً للرواية فمحل بحث يعرف بالإمعان .

(٢) « **وَدِينِنَا** » الذي شرعت ، وهو عصمة أمرنا ورأس مالنا ، والثابت الناسخ لجميع الأديان ، إلى السلامة والعافية في أمورهما ، أو المعاصي في الأولى ومن العقوبة في العقبى ، أو من المخالفة في الأصول والفروع الشرعية ، بل الجري في أحكامه النظرية والعلمية على وفق مرضاة الله ورسوله ، والحمل على التكرير والمبالغة بعيد عن المرام يظهر بالتأمل التام ، ويحتمل الأول للسفر ، والثاني للحضر ، فتدبر .

إنما طلب الحفظ لهذا الأشياء لأنه من الواجبات قال اللقاني :

وحفــظُ ديـنٍ ثـمّ نفـسٌ مَـالٌ نَسَـبْ
ومثلُهـا عَقــلٌ وعِـرضٌ قـد وَجَـبْ

وكلها مندرج في هذا الحزب ، وفي فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ، وخلاصته : لو فسد الدين لم يبق لصاحبه صلاح في الدنيا ولا فلاح في العقبى .

(٣) « **وَكُنْ لَنَا** » بالإعانة على الطاعات ، والإغاثة لدفع المنكرات =

صَاحِباً[١] فِي سَفَرِنَا[٢]..............................

= والمكروهات ، وبالتقوية والصحة في الأبدان ، وبالعز بين الأقران ، ويمغفرة الذنوب وستر العيوب .

(١) « صَاحِباً » أنيساً لقربتنا ورافعاً لغمومنا ، وحافظاً لمالنا وديننا من قطاع طرق الدين والدنيا ، كالشياطين من الأنس والجان مع الإجابة لدعوتنا .

(٢) « فِي سَفَرِنَا » ولم يقل في أسفارنا ، استغناء باسم الجنس وهو قطع المسافة ، ضد الحضر والإقامة ، قيل : سمي سفراً لكشفه أخلاق الرجال ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلاً : هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ أو حمل الإضافة على الاستغراق فيشمل جميع أنواعه من سفر الدنيا براً وبحراً ، وسفر الآخرة ، وسفر الظاهر والباطن ، وفيه انقطاع من الخلق إلى الحق ، ومن الأسباب الظاهرة إلى مسبب الأسباب ، ولا ينافيه الرفيق ثم الطريق بل هو أعلى الرفيق ، وفيه إيماء إلى دعائه ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة : « **اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي** » ، كما في السير ، وفي رواية : « **اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل** » ، قال شخص لسهيل بن عبد الله : أريد أن أصحبك ، قال : فإذا مُتُّ فماذا تفعل ؟ فصاحب أحداً لا تفارقه أبداً ، وقال شيخنا صاحب الحزب : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم ، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه لا يدوم ، واصحب من إذا ذكر الله ذكروا الله ، ينوب إذا فقد ويغني به إذا شهد ، وقال الشيخ أيضاً : لقيت الخضر عليه السلام في صحراء =

وَخَلِيفَةً(١) فِي أَهْلِنَا(٢) ....

- عيذاب فقال : يا أبا الحسن صحبك الله اللطيف الجميل ، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل .

قال زين العابدين رحمة الله عليه : كيف يكون صاحبكم من إذا فتحتم كيسه فأخذتم منه حاجتكم فلم ينشرح ؟ لذلك قيل : بئس الصاحب يريدك غنياً ويقطعك فقيراً ، وكان يقول محمد بن كعب القرطبي : إياك وكثرة الأصحاب فإنك لا تقوم بواجب حقهم ، والله إني لأعجز عن القيام بواجب حق صاحب واحد .

ثم تخصيص الصاحب في السفر مع أنه تعالى في الحضر كذلك لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ شدة الاحتياج إلى المعونة فيه للغربة والمشقة ، وقد ورد : « السفر قطعة من العذاب » ، أو لعموم السفر يدخل فيه الحضر ، فلا حاجة إلى زيادته كما في نسخة ، ويحتمل المعنى : كن لنا معيناً في إصلاحنا بين قومنا ، أو في تحريرنا بالحفظ عن الغلطات ، أو كن لنا صاحباً وقت الصبح حتى لا نشتغل بشيء غير ذكرك وفكرك وشكرك ، وصيانة عن الهلاك أهم ولذا قدم .

(١) « وَخَلِيفَةً » بإصلاح حالهم وبالهم ومالهم ودنياهم وأخراهم بتوفيقهم إلى الخير وإيصال الدرجات العاليات ، يعني : بدفع الشر عنهم قائمة بالحفظ والتدبير والإصلاح والإحسان في المعاش والمعاد ، أي : استخلفك

(٢) « فِي أَهْلِنَا » نسباً وديناً ومتابعة وصحبة ، أي : يحفظك في غيبتنا من جميع المكاره .

وَاطْمِسْ(١) عَلَى وُجُوهِ أَعْدَائِنَا(٢) . . . .

---

(١) « وَاطْمِسْ » هو محو الشيء حتى يذهب أثره ، أي : امحُ وغيّر وأعمِ وحوِّل

(٢) « عَلَى وُجُوهِ أَعْدَائِنَا » المضلّة في الدين ، كالشيطان فإنه عدو مبين ، والكفار من الأنس والجان من أهل البغي والطغيان المستحقين به ، فلا تشمل الأزواج والأولاد كناية عن الإهلاك ، يعني أهلكهم وأذهِبْ آثارهم لأنهم يستعينون بنعمتك على معاصيك ، وإنما أمرتهم بأن يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك ، وتخصيص الوجه : إما لكونه أشرف الأعضاء ، أو بذكر الجزء وإرادة الكل ، أو عن الستر والإعماء وإطفاء ضيائهم وتغيير أحوالهم وتبديل عزهم ذلاً وكبرهم صغراً ، وكثرتهم قلة وقوتهم ضعفاً وهواناً ، وتغليب إقبالهم وإدبارهم ، أو اطمس عن الهدى أو اطمس القلوب وامسح البصيرة ، أو اجعل أعينهم عمياً كسائر الوجه لا شق لها كما طمس الريح الأعلام بالرمل والتراب ، أو أعمهم مع بقاء صور أعينهم حتى يبصروا الحق بغير صورته والباطل بغير صورته ، أو اجعلهم منصرفين عن الحق مبتلين على الباطل حتى يستحقوا بذلك عذابك ، أو أبقهم عمياً وبكماً ليس لهم عين يبصرون بها ، ولا فم يتكلمون بسوء في حقنا ، ولا أنف يشمون رائحتنا ، حتى يكونوا متحيرين لا يصلون إلينا بوجه من الوجوه ، ولا يروننا إذ قصدونا بالسوء ، أو اطمس على وجوههم أي : جاههم عند اتباعهم الذين لأجلهم غيروا بما يطالعهم على خيانتهم ، أو كناية عن الإجلاء عن أوطانهم ، يقال : =

وَامْسَخْهُمْ[١] عَلَى مَكَانَتِهِمْ[٢] فَلا يَسْتَطِيعُونَ المُضِيَّ[٣] وَلا المَجِيءَ[٤] إِلَيْنَا[٥] ....

= لفلان وجه في بلده وهو وجه عند الناس .

قال شيخنا المؤلف الشاذلي : كلما ضاق قلبي من الأذى أتوضأ وأتوجه إلى الله تعالى ، قال : فهممت أن أدعو على السلطان ، فقيل لي : إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق فألهمت أن أقول : يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ! أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق ، واقرب مني بقدرتك قرباً تمحق به كل حجاب ، كما حجبته عن إبراهيم خليلك ، فلم يحتج بجبريل رسولك ولا سؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه ، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء ؟ كلا ، اللهم إني أسألك أن تفنيني لقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني إنك على كل شيء قدير .

(١) « وَامْسَخْهُمْ » المسخ بتبديل الخلقة وقلبها حجراً أو جماداً أو بهيمة .

(٢) « عَلَى مَكَانَتِهِمْ » أي أهلِكْ أعدائنا المذكورة في مساكنهم ، أو عجل العقوبة بهم وأخرجهم عن دائرة الحلم والرحمة والإمهال ، واجعلهم بمنزلة الجماد في المكان الذي قصدوا فيه السوء لنا والصقهم في مكانهم.

(٣) « فَلا يَسْتَطِيعُونَ المُضِيَّ » بضم الميم وتشديد الياء ، وهو الموافق لنظم القرآن .

(٤) « وَلا المَجِيءَ » بفتح الميم أي مجيء الأعداء .

(٥) « إِلَيْنَا » أي إلى ضرارنا ولو بالوسوسة ، أي : فلا يقدرون على =

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ ، ﴿ يسٓ ﴾ ....

= ذهاب ولا مجيء ولا تقدم ولا تأخر كالجماد في عدم التحريك ، يلصق مكانه ، أقعدهم وأوقفهم كناية عن عدم الإضرار بوجه من الوجوه ، ثم قال على الاقتباس تأييد لما سبق وإزالة لاستبعاد القدرة عليه ، قيل : وإن طلب النصرة على الأعداء وانهزم أحد الجيشين فليقل قوله تعالى : ﴿ يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ على قبضة من تراب فيرميه على الأعداء عند المقابلة ثم يقولون :

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ وأفقأنا وأذهبنا وأعمينا أبصارهم كما أعمينا قلوبهم ، والاستيلاء على ذلك العضو .

﴿ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ فبادروا على الطريق وطلبوه .

﴿ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ الاستفهام للإنكار ، أي : فكيف يبصرون الطريق إلى مقاصدهم وقد طمسنا أعينهم فلا يقدرون السلوك ولا يعلمون الطريق ولا جهة سلوكهم .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ ﴾ بتبديل صورهم وإبطال قوامهم وقدرهم وإخمادهم .

﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ المكان والمكانة واحد .

﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ رجوعاً ، ووضع المفعل موضعه للفواصل لا يقدرون على الذهاب ولا على المجيء إذ صاروا جمادات .

﴿ يسٓ ﴾ ترك البسملة اكتفاء بالأول ، قد قيل : إن الله لم يجعل =

وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ . . . .

= لأحد سبيلاً إلى إدراك معانيها ، ونذكره ونكل علمها إلى الله تعالى ، ونرجو بركاتها وأسرارها ، وقيل : اسم الله ، وقيل : من أسماء القرآن أو اسم هذه السورة أو اسم النبي ﷺ ، وقيل : اسم سلم يا سيد البشر ويا سيد ولد آدم ويا سيد المرسلين ويا سيد الأولين والآخرين ، وقال صاحب القاموس في لطائف القرآن : ياسين القدر ، وقيل : يا إنسان بلغة طي أو بلغة سريانية أو الحبشة ، أي هذه المتلوة سورة يس أوائل أو يس أو أقسم باسم يس والكتاب المسمى بياسين ، أو بسورة تسمى بياسين

﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ الواو إما قسم وإما عطف أن جعل يس مقسماً ، أي : المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني ، أو لا يلحقه التغير والتحريف ، أو ليس للباطل سبيل من جهة من الجهات ، أو لا تبطل الكتب المقدمة ولا يأتي كتاب بعده يبطله ، أو ذي الحكمة المتضمنة بها والناطق بها ، فوصف بصفة المتكلم للمبالغة على سبيل الإسناد المجازي .

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ خطاب لنبينا ﷺ جواب القسم ، ورَدٌّ على الكفار المنكرين ، كأنه قيل : يا سيد المرسلين ! أقسم بالكتاب الحكيم إنك يا محمد لمن المرسلين ، قبل أن أخلق بألف عام ، شهادة الله يكفيك عن إنكارهم .

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ خبر بعد خبر أي لمن المرسلين على صراط مستقيم ، أو نعت للمرسلين ، أو صلة أي : إنك لمن المرسلين الذين كانوا على صراط مستقيم ، وفي ذكره بعد ذكر المرسلين =

. . . .

= تصريح بالمدح والجمع بين وصفه ووصف شريعته وتعظيمه وتعظيمها وأنها أقوم الشرائع وأعدلها ، ولذا ذكر .

وأخرج ابن مردويه والخطيب والبيهقي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **سورة يس تدعى في التوراة المعمَّمة ، تعمُّ صاحبها بخير الدنيا والآخرة ، وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة ، وتدفع أهاويل الدنيا والآخرة ، وتُدعى الدافعة والقاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة** » . الحديث .

وأخرج الدرامي عن عطاء بن رباح قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « **من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه** » ، وعن ابن عباس قال : من قرأ يس حين يصبح أعطي سر يومه حتى يمسي ، ومن قرأ في صدر ليله أعطي سر ليله حتى يصبح ، وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « **ما من ميت يقرأ عنده يس إلا هون الله عليه** » ، وأخرج البيهقي عن أبي قلابة قال : من قرأ يس غفر له ، ومن قرأها وهو جائع شبع ، ومن قرأها وهو ضال هدي ، ومن قرأها وله ضالّة وجدها ، ومن قرأها عند الطعام خائفاً قلته كفاه ومن قرأها عند امرأة عسر عليها ولدها يسر عليها . الحديث . قال البيهقي : هكذا نقل إلينا عن ابن قلابة وهو من كبار التابعين ، ولا يقول ذلك إنه صح عنه إلا بلاغاً ، وورد : من وجد في قلبه قسوة فليكتب يس والقرآن الحكيم في جام بزعفران ثم يشربه .

عن جعفر قال : قرأ سعيد بن جبير على رجل مجنون سورة يس فبرأ . عن أبي محمد عن أبيه قال : سلكت طريقاً فيه غول فإذا امرأة

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾ . . . .

= عليها ثياب مصفرة وقناديل وهي تدعوني ، فلما رأيت ذلك أخذت في قراءة يس فطفئت قناديلها ، وهي تقول : يا عبد الله ما صنعت بي يا عبد الله ما صنعت بي ، فسلمت منها . قال المقري : يصيبكم شيء من خوف ، أو مطالبة السلطان أو عدو إلا قرأتم يس يدفع عنكم بها . عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عندهما يس غفر الله له بعدد كل حرف منها » كذا في الدر المنثور لإمامنا السيوطي .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : وإن مما تبين نفعه ووقف على بركاته لمن كان عليه خوف السلطان الجائر وطلب بغير حق ، أو ضل به طريق ، أن يقرأ سورة يس ثم يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله الذي لا إله إلا هو ذي الجلال والإكرام ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء إلخ ، اللهم إني أعوذ بك من شر فلان بن فلان ، يكفى ذلك ، ذكره إمامنا اليافعي .

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ﴾ أي : نزل القرآن تنزيل العزيز ، أو أعني منزّل العزيز ، أو استئناف مسبوق لبيان فخامة شأن القرآن ، أي : العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن .

﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بخلقه سيما لمن آمن به ، وإن في تخصيص الاسمين الجليلين المشعرين عن الغلبة التامة والرأفة العامة من حيث العمل به ترهيباً وترغيباً وإيماء لمن حفظه عن وقوع الزيغ ، وفيه : أنه الغالب الذي لا يغلب ، قادر على كل شيء ، وإشعاراً بأنك منزل من غاية الرحمة ، ولذلك أرسلناك

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ . . . .

﴿ لِتُنذِرَ ﴾ بالقرآن ، أو متعلق بالتنزيل .

﴿ قَوْمًا ﴾ أهل مكة أو العرب أو قريشاً .

﴿ مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ أي : لم ينذر آباؤهم الأقربون ، ولم يرسل إليهم رسول ، فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ لم ينذروا فبقوا غافلين ، أو لتنذر انذاراً مثل إنذار آبائهم فإنهم غافلون عن الإيمان وأمر الآخرة ، وتخصيص الإنذار ـ ولم يذكر البشارة مراعاة بحالهم لأنهم ليسوا أهلاً لها ـ أفيد لبعض الناس من البشارة ، وقد قيل : إن دفع المضار أهم من جلب المنافع ، وقال في بحر علوم التفسير : قالوا : لطف الله في خلق النار أعظم من لطفه في خلق الجنة فكم من تارك المعاصي من خوف النار وإنه لم يتركها لرجاء الجنة ، ثم إن بعثته ﷺ عامة بجميع الخلق من زمن آدم عليه السلام والأنبياء كلهم من أمته ، وهو عليه السلام نبي الأنبياء ، ولذا ظهر ذلك في الآخرة ، جميعُ الأنبياء عليهم السلام تحت لوائه ، كما ظهر إمامته بجميعهم ليلة الإسراء ، ولو اتفق مجيئه زمن آدم ونوح وجب عليهم وعلى أممهم الاتباع به والنصرة له ، ولهذا إذا جاء عيسى عليه السلام في آخر الزمان إنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ بالقرآن والسنة ، ويضع عيسى الإنجيل بجنبه ، ويقول : أمرني الله أن أحكم بينكم بكتابه عليه السلام كما ذكروا ، فكيف يستقيم تخصيص الإنذار بقوم ؟ قيل : لأن قريشاً كانوا أضلَّ الناس ، وأحوجهم إلى الهداية بالإرسال والإنزال ، على أنه لا يلزم من تخصيص الإنذار تخصيص البعثة والرسالة .

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ. . . . .

﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ ﴾ أي : والله وجب العذاب أو ثبت وتحقّق .

﴿ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾ بأنهم يموتون على الكفر البتة ، لكن لا بطريق الجبر بل باختيارهم وإصرارهم على الكفر وعدم تأثرهم بالإنذار والتذكير ، أو هذا الجبر جائز بالاتفاق مجازاة لكفرهم ، وسوء أعمالهم كما صرح به بعض المحققين .

﴿ فَهُمْ ﴾ : أي هؤلاء الأكثرون .

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بالله ورسله والقرآن ، إذ ختم عليهم في أم الكتاب عدم إيمانهم ، فلذلك ما آمن منهم إلا قليل ، وفيه تسلية للرسول عليه السلام ، والفاء للتفريع أو للتعليل يعرف بالتأمل ، لمّا بيّن إنهم لا يؤمنون بيّن أن ذلك من الله

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ أي : الكفار

﴿ أَغْلَالًا ﴾ والتنكير للتعظيم ، أو للتكثير كما قيل ، وذكر الإمام اليافعي : من قرأ عند دخوله في الفراش ، إنا جعلنا إلى قوله : لا يبصرون ، أمِنَ مِنْ كل لصّ ومن كل مفسدة ، ومن قرأها في مخاصمة رجلين خذل الظالم منهما بقدرة الله ، هذه الآيات لدفع كيد الأعداء ، وردًّ ضررهم وتدميرهم وصدًّ وجوههم وعمى أبصارهم وخذلانهم .

﴿ فَهِيَ ﴾ أي : الأيدي لسبقه حكماً ، إذ الغل جامعة لليد والعنق مجموعة .

﴿ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾ جمع ذقن وهو مجتمع اللحية ، أو راجعاً إلى =

فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

= الأغلال أي : فالأغلال منتهية أو واصلة إلى أذقانهم أو مجتمعة مع الأذقان .

﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ أي رافعون رؤوسهم غاضُّون أبصارهم ، أو جعلناهم مُمْسكين لا ينفقون في سبيل الله بموانع كالأغلال ، وقيل : مغلّلون عن كل خير ، يعني : أيديهم موثوقة إلى أعناقهم بالأغلال لا يستطيعون أن يبسطوها بخير ، وقيل : عبارة عن منع التوفيق حتى صاروا متكبرين مستثقلين الحق ، كما قال تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ والحاصل : معنى الآية : إمّا حقيقة في الدنيا أو في الآخرة ، وإما مجاز فليتأمل .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي : قدامهم

﴿ سَدًّا ﴾ مانعاً وحاجزاً وسراً وظلمة عن الحق ، فهم يرددون في الضلالات .

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ عظيماً ، أعاد السَّدَّ تأكيداً ، إما متمم للتمثيل وتكميل له ، أي : وجعلنا ما ذكر من أمامهم سداً ، وإما تمثيل مستقل .

﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾ أكسينا أبصارهم غشاوة ، أو عميناهم وغطينا أبصارهم عن أن ينظروا إلى الشيء ، وحجبناهم بالظلمة عن الأذى .

﴿ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ الهدى ، وقيل : محمداً ، حين ائتمروا على قتل من قبيل بني فلان قتلوا ، أو لأنه الراضي بمنزلة الفاعل ، أو لكونه سيدهم وقدوتهم . =

. . . .

= ذكر السيوطي في الخصائص وتفسيره ، عن ابن عباس رضي الله عنه : كان النبي عليه السلام يقرأ في المسجد فيجهر بالقرآن ، حتى تأذى به قريش ، حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم ، وإذا هم يبصرون فجاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا : ننشد الله والرَّحِم يا محمد ، فدعى النبي عليه الصلاة والسلام حتى ذهب ذلك عنهم ، فنزلت .

قال : فلم يؤمن من ذلك النفر أحد ، وفي رواية أخرى : أن ناساً من بني مخزوم تواصوا بالنبي عليه السلام ليقتلوه منهم الوليد بن المغيرة ، فبينما النبي ﷺ قائم يصلي يسمعون قراءته ، فأرسلوا إليه الوليد ليقتله ، فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه ، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك ، فأتوه ، فلما انتهوا إلى المكان الذي هو يصلي فيه سمعوا قراءته ، فيذهبون إلى الصوت فإذا الصوت من خلفهم ، فيذهبون إليه فيسمعون أيضاً من خلفهم ، فانصرفوا ولم يجدوا إليه سبيلاً .

وفي التيسير عن عكرمة قال : كان ناس من المشركين من قريش يقول بعضهم لبعض : لو قد رأيت محمداً لفعلت به كذا وكذا فأتاهم النبي ﷺ وهم في حلقة في المسجد فوقف عليهم ، قرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى بلغ فهم لا يبصرون ، ثم أخذ تراباً فجعل يذرّ به على رؤسهم وما يرفع إليه رجل منهم طرفه ، ولا يتكلم بكلمة ، ثم جاوز النبي ﷺ فجعلوا ينفضون التراب عن رؤسهم ولحاهم ، وهم يقولون : والله ما أبصرنا ، والله ما سمعنا ، والله ما عقلنا . انتهى .

شَاهَتِ الوُجُوهُ[١] ....

= وذكر الكلبي أن قتيلاً قتل خطأ ، وكان ولي المقتول يهتم بالقتل عمداً ، فكان يطلبه ليقتله ، فقال رجل من الصالحين : إن كنت في مقالتك صادقاً ، فاقرأ سورة يس قبل خروجك من منزلك ، فاخرج عليه فإنه والله لا يراك ، فإنه ظلمك ، فكان الرجل يقرأها قبل خروجه من منزله فلا يراه طالبه في طريقه . وقال في الدر النظيم : وقد صح أن رسول الله ﷺ قرأ أولها حين خرج على قريش لم يثبتوا ليقتلوه ، فخرج عليهم ولم يروه ، وجعل على رؤسهم تراباً . انتهى .

ولعل الشيخ خص لأجلها ، ولذا قيل : إن أراد الأحرار من العدو والسباع فليقل بعد قوله يس سبعين مرة : يا حفيظ يا منجي يا كافي يا مكفي استرني بسترك الجميل ، كما سترت الأنبياء عليهم السلام من سطوات النزاعة ، اجعل بيننا وبينهم فيظفر منهم ، بحيث لو كانوا عنده لم يروه بفضل الله ، ثم يقول : والقرآن الحكيم إلى شاهت ، وفي القاموس : شاه وجهه : قبح ، وشوّهه الله : قَبَّحَ وجهه ، وفي الصحاح :

(١) « شَاهَتِ الوُجُوهُ » قبحت ، أي : أبعده الله عن الخير ، والتأنيث للجمع ، الوجوه أي : وجوه الأعداء من الأنس والجن ، وتخصيص الوجه لكونه أشرف الأعضاء ، وإذا قبح هذا فسائر الأعضاء لا ينفع ، ولذا ورد في بياض الوجه في الدنيا والآخرة أثار ، والمراد بها الذات تجوزاً ، وحاصله : أنه كناية عن العمى والبكم والصم وتغيّر الصورة والسواد والاقتضاء وغيرها .

وقد روي أنه لما اشتد يوم حنين أخذ النبي ﷺ كفاً من الحصى ، فرمى به وجوه المشركين وقال : شاهت الوجوه ، فما خلق الله منهم =

. . . .

= إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة ، فولوا مدبرين فهزمهم الله .

وروي أن رجلاً من المشركين قال يوم حنين : لما التقينا نحن وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة إلى أن كشفناهم ، فبقينا نسوقهم حتى إلى صاحب بغلة بيضاء ، فإذا هو رسول الله ﷺ قال : فيلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا : شاهت الوجوه ارجعوا ، الحديث ذكره السيوطي وغيره ، وفي رواية : فلما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفاً من الحصاة عليه تراب فرمى في وجوه القوم ، وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء ، فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم .

قال قتادة وابن زيد : ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصاة فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وبحصاة في ميسرة القوم ، وبحصاة فيما بين أظهرهم ، وقال : شاهت الوجوه فانهزموا ، كذا في الخازن والدر .

أقول : ولا مانع من تعداد القضية ، ومن هذا ظهر وجه التثليث فلا بأس بالإشارة يميناً ويساراً أو قداماً بكل واحد من الثلاث والله أعلم ، وله الحمد الأكمل الأتم . شاهت : اسوَدّتْ ، الوجوه أي : وجوه المنافقين ، شاهت : افتضحت ، الوجوه : وجوه القاصدين لنا بالسوء ، قيل : إذا وصل إلى شاهت الوجوه يحرك يده يميناً وشمالاً وقداماً وخلفاً كأنه يضرب عدوه بالسيف ، وإن أراد عقد اللسان فليقرأ أربعاً وأربعين مرة قوله تعالى : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ....

يَعْقِلُونَ ﴾ ثم يقول : وعَنَتِ الوجوه إلخ ، لكن في تصحيح النية ومعرفة المستحقين ، ومحل جوازه شرعاً يحتاج إلى التدبّر التام ، قال قاضيخان : امرأة أرادت تعويذ آيات ليحبها زوجها بعدما كان يبغضها ، ذكره في الجامع الصغير أن ذلك حرام ، انتهى . إذا كان حال الحلال لأجل الحلال هكذا فما ظنك بغيره .

﴿ ۞ وَعَنَتِ ﴾ : من عنى يعنو أي خضعت وخشعت وذلّت وأسلمت وانقادت وسجدت ، وفي الدّرّ : استأثرت صاروا أسارى كلهم .

﴿ ٱلْوُجُوهُ ﴾ : ظاهرة العموم ، أي : وجوه الخلائق ، أو وجوه الأعداء الأنسية والجنية ، وخص الوجوه : لأن أثر الخصوص والذلة يظهر أولاً فيها وتبين بها ، أو المراد أصحاب الوجوه وأنفسهم بقرينة قوله : وعنت ، فإنه من صفاتهم لا من صفات الوجوه ، ثم إن في كل وقت أو يوم القيامة يصير الملك والقهر له تعالى دون غيره ، والماضي للتحقيق .

﴿ لِلْحَيِّ ﴾ لله الذي لا يموت وهو الحي بنفسه لا بإحياء غيره .

﴿ ٱلْقَيُّومِ ﴾ القائم بتدبير خلقه ، القائم الوجود الذي يمتنع عليه التغير ، القائم الذي لا يزال ، القائم على كل نفس بما كسبت ، وقيل : القائم على خلقه بأرزاقهم وآجالهم ، وقيل : القيوم يدل على معنى الأزلية والأبدية وعلى كونه موجوداً بنفسه ، ولهذا المعنى المشتمل على حقائق المعنى .

قيل : الحي القيوم هو الاسم الأعظم ، ويؤيده أنها مدار الأسماء الحسنى وإليها يرجع معانيها ، فإن الحياة مستلزمة بجميع صفات =

. . . .

= الكمال ، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا بضعف الحياة ، فإذا كانت أكمل حياة وأتمّها استلزم إثباتها إثبات كل كمال أيضاً ، يضاد نفيه كمال الحياة ، وأما القيوم فهو يتضمن كمال غناه وكمال قدرته وافتقار غيره إليه في ذاته وصفاته إيجاداً وإمداداً ، فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره ، بوجه من الوجوه المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته ، يعني به يقوم كل موجود حتى لا يتصور وجود الشيء ولا دوام وجوده إلا به ، وقد قيل : إن من عرف أنه القيوم بالأمور استراح عن كدّ التدبير ومشاقّ الأشغال ، وعاش براحة التفويض ، فانتظم لهذين الإسمين صفات الكمال على وجه الأتم ، فلا يبعد أن يكون الاسم الأعظم .

وقيل : إن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحي الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حي يا قيوم ، وقيل : إن آصف حين أتى بعرش بلقيس دعا بذلك ، وقيل : هو دعاء أهل البحر إذا خاف الغرق يا حي يا قيوم ، وعن علي : لما كان يوم بدر جئت أنظر ما يصنع النبي ﷺ ، فإذا هو ساجد يقول : يا حي يا قيوم ، فتردَّدت مرات وهو على حاله لا يزيد على ذلك إلى أن فتح الله له ، قال في تفسير اللباب : وهذا يدل على عظمته الاسم ، وقال اليافعي نقلاً عن البوني في ذكر هذين الاسمين : أن تصوم الثلاثاء والأربعاء والخميس وتبيت ، فإذا كان وقت الفجر من ليلة الجمعة تصلي الصبح عقيب الأذان في أول وقت ، فإذا سلمت من الصلاة تذكر تلاوتها من غير تربص واشتغال بشيء من الأشياء قولاً وفعلاً أو غيرهما ، مما يشغل البال : يا حي

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا طسٓ..........................

= يا قيوم ، وتواصل الذكر من غير سكوت ولا انقطاع عنه ولا ذكر بغيره ، فإذا بزغت الشمس بكرة نهار الجمعة تكون قد جهزت دواة وقرطاساً ، فتكتب في الحال عقيب مع أول طلوع : يا حي يا قيوم ، ويطوى ويحمل ، فإنك ترى من عجائب بركة الله وسعة الرزق وإقبال الخيرات عليك ، ما شاهدته غياباً ، ويتعجب الناس منك ، فاحفظ هذه التحفة واكتمها عن غير أهلها ، وكن حالة الذكر والكتابة مستقبل القبلة .

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ يحتمل الحال والاستينال لبيان ما لأجله عنت وجوههم ، أي : يَئِسَ وخسر من رحمة الله وبركاته وثوابه .

﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي موقف القيامة شركاً ، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ولا ظلم أشدّ من جعل المخلوق شريك الخالق ، ويحتمل المعنى : ها هنا عاد كل من أراد لنا الظلم ، وقصد السوء بغير نيل مرام ، وحصول مقصود . وحظ العبد منه : أن لا يقرأ هذا الحزب لظلم أحد ولا التوسّل إليه وإلا خاب .

﴿طسٓ﴾ بغير تكرار في المشهور ، المعتمد عن ابن عباس رضي الله عنه : هو اسم الله الأعظم كما ذكره السيوطي ، قيل : الطاء إشارة إلى طهارة الطور وطيب الطيبة ، وسعة بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام ، والمقصود إظهار العلم والحكمة دون البطش والنقمة ، فلا يقتضي الحال ذكر الميم ، قيل : اسم القرآن والسورة ، أو قسمٌ وهو من أسماء الله معظمة الحروف ، أو قسم بطوله وسنائه ، وقيل : الطاء إشارة إلى طوله في كمال عظمته وهو =

حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ....

متوحد به ، والسين إلى سلامته من كل عيب ونقص وهو منفرد به ، أو إلى طهارة قلب نبيه عليه السلام عن الكونين ، والسين إلى سيادته على الأنبياء والمرسلين ، أو الطاء طيران الطائرين بالله والسين سير السائرين إلى الله ، وقيل : الطاء شجرة الطوبى والسين سدرة المنتهى قسم بها ، أو طوبى للمؤمنين سلام عليهم ، وقيل : طهارة أبدان الصالحين وسلامة قلوب الزاهدين ، أو طرب المشتاقين وسرور العارفين ، فنسألك الطهارة الظاهرة والسلامة الباطنة ، والوصول إلى طوبى والسيادة العظمى بحرمة هذا الاسم الطاهر المطهر الأعلى .

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ قيل : هو اسم الله الأعظم ، ومعناه الحي القيوم ، وقيل : هو اسم من أسماء الله ، وقيل : الحاء من رحمن ، الميم من مجيد ، والعين من العالم وعزيز ، والسين من قدوس ، والقاف من قاهر .

وقيل : حلم الله وملكه وعلوه وسناثه وقدرته ، وقيل : حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز ، ملكه يتحول من قوم إلى قوم عدو لقريش بقصدهم سنا كسنا يوسف ، قدرة الله في خلقه ، وقيل : في شأن محمد ﷺ حوضه المورود وملكه الممدود ، وعزه الموجود وسناثه المشهود ، وقيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود ، وقيل : حم عسق سر لم يطلع عليه غير محمد ﷺ ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما من نبي صاحب شرع أو صاحب كتاب إلا وقد أنزل الله عليه حم عسق ، يدل عليه قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . الآية .

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾..........

﴿مَرَجَ﴾ أي أرسل ، دخل ، أو خلق ، والأخير مجاز في المسند
﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ البحر المالح والبحر العذب ، وهو الأنهار بين الناس ، فلا يرد بعدم وجود البحر ، ماء العذب على أنه في حيز المنع ، وقال ابن عباس : بحر السماء وبحر الأرض ، وإذا وقع بحر السماء على بحر الأرض صار لؤلؤاً وقيل :
﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ كل عام .
﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ من البعد ما لا يبغي كل واحد منها على صاحبه ، يلتقيان : يتقابلان ، وقيل : يجتمعان ، قال الحسن : بحر الروم وبحر الهندي ، وقيل : بحر فارس وبحر الروم ، أو بحر المشرق وبحر المغرب ، بينهما : أي بين البحرين ، برزخ : أي حجاب وحاجز لطيف لا يرى الخلق ، أو من قدرة الله ، أو من الأرض كالجزائر والبلاد فلا يختلط أحدهما بالآخر ، فيفسد على الناس مياههم .
﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يختلطان ، أو لا يطغيان على الناس الذي هم البرزخ ، فيغرقانهم أو لا يمسن جان ولا يتغير طعم كل واحد منها ، وكذا في البحر عيون ماء عذب لا يختلطان بقدرة الله تعالى ، وقيل : كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها مع أن شأنها الاختلاط ، وهما في الظاهر مختلطان ، وفي الحقيقة غير مختلطين ، وقيل : البرزخ مدة الدنيا ، فإذا انقضت الدنيا وقامت الساعة اختلط أحدهما بالآخر ، كما أشير إليه في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي فتح بعضها إلى بعض حتى يصير بحراً واحداً ، =

حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ...............

= أحميت وجعلت شراباً لأهل النار ، وفيه دليل على القدرة الباهرة مثلاً ، بأن العذوبة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض فلا بد من الاستواء ، وإن لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يختص كل واحد من الأجسام بصنعه ، ويفصل بينها على حسب مشيئته وإرادته ، فلا يعجزه ما أراد من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإعناء وإفناء وحماية وعناية وغير ذلك ، وفيه عبرة للمعتبرين .

ولو خلط البحران كيف الحال ؟ مع أن فوقنا بحراً وتحتنا بحراً وجهتنا بحاراً ، ومن هذا ظهر سر طلب تسخير البحار ، ووجه الإيراد هنا : ومع هذا نحن مستغرقون في بحار كرمه ، فنحمده حمداً موافياً لنعمه ومكافياً لمزيده ، وذكر القرطبي عن سهل بن عبد الله : البحران : طريق الخير والشر ، والبرزخ الذي بينهما : التوفيق والعصمة .

﴿حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ ، حمٓ﴾ والسبع للاقتداء بالكلام المجيد والإحراز للبركات في كل منَّة ، وفي القاموس : ولا تقل حواميم وقد جاء في الشعر ، قال الفراء : قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب ، وقال أبو عبيدة : الحواميم سور في القرآن على غير القياس ، لكن الأولى أن يجمع كذوات حم ، كذا في الصحاح ، يقول الفقير حقه عصمة القدير : الأحاديث التي ذكرها السيوطي في الدر المنثور يرده فليتأمل ، ثم « حم » اسم من أسماء الله تعالى ، عن ابن عباس : أنه اسم الله الأعظم ، قيل : الحاء : افتتاح أسمائه حي حكيم حليم حميد حق حفيظ حسيب حنان ،

. . . .

= والميم : افتتاح أسمائه مالك مجيد منان ، وقد سمعت أنه الحي القيوم ، قال في القاموس : إن حاميم وذوات حاميم السور المفتتحة بها ، وهو اسم الله الأعظم ، أو قسم ، أو حروف الرحمن مقطعة انتهى .

وقد ذكروا أن الحواميم ثمرة القرآن وديباجه ولبابه وروضة الجنان ، وقال أبو الدرداء : كنا نسمي الحواميم العرائس ، وقال ابن سيرين : رأى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد ، لم ير أحسن منهن ، فقال لهن : لمن أنتن ؟ قلن : لمن قرأ حم .

عن أنس بن مالك سأل أعرابي رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله ما حم شانا لا نعرف في لغتنا ، قال :« **هي أسماء مفاتيح خزائن ربك** » وفي رواية : بدء وأسماء ومفاتيح سور ، وفي الدر : عن الخليل بن مرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع ، تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول : اللهم لا تدخل هذا الباب من كان مؤمناً يؤمن بي ويقرأني** » ، قلت أنا : كأن الحواميم سد مانع لعذاب الآخرة الذي هو العذاب الأكبر ، فكيف لا يكون سداً حاجزاً لبليات الدنيا التي هي الأدنى ؟ .

وقال في الحاشية والشروح : وينبغي كلما قرأ أن يشير في كل حم إلى جهة من جهات الست أماماً وخلفاً ويميناً ويساراً وفوقاً وتحتاً على هذا الترتيب وبالسابع إلى جميع الجوانب بالأصابع ، إن أمكن ولو خِفْيَة مع النية ، رأيت أن كل قضاء ومصيبة يأتي إلي من جميع الجهات ، فقد رفعته واحتميت منه بقدرته الله ، واسم الله الأعظم =

حُمَّ الأَمْرُ(١) وَجَاءَ النَّصْرُ(٢) فَعَلَيْنَا(٣) لا يُنْصَرُونَ(٤) . . . .

= الذي أشير إليه بالحواميم السبع ، وبالسور المفتتحة بها ، أو بالأسرار التي في القرآن ، على الوجوه فتأمل . ويقال في هذا المحل : كلما قرأ اللهم لا تقتلني بغضبك ولا تهلكني بعذابك وعافني قبل ذلك ، اللهم لا تؤاخذني بسوء عملي ولا تسلط علي من لا يرحمني وكف أيدي الناس عني ، يا حفيظ احفظني ويسر أموري ، وحصل مرادي برحمتك يا أرحم الراحمين . ثم يقول :

(١) « **حُمَّ الأَمْرُ** » ماض مجهول والأمر نائبه ، أي قُدّر وقضي وتمّ كل أمر ، أو الذي أردته بما هو كائن إيقاناً بالإجابة وثقة بوعده الكريم ، وتفاؤلاً بحصوله فأخبر عنه الماضي عقبه على اختلافهم في معناه .

(٢) « **وَجَاءَ النَّصْرُ** » أي نصر الله على جميع الأعداء ظاهراً أو باطناً ، والمدعو من الله تعالى وهو النصر العزيز وصيغة الماضي للتحقيق أن الله لا يخلف الميعاد .

(٣) « **فَعَلَيْنَا** » تفريع على قضاء الأمر ومجيء النصر أي علم مضارنا قوم على قوله :

(٤) « **لا يُنْصَرُونَ** » للحصر وهو مبني للمفعول ، والضمير للأعداء السابق ذكرها لفظاً على أن الحزب له شيء واحد أو حكماً فتدبر . أي : لا يعاونون ولا يكونون لهم نصر لا من الله ولا من أحد غيره ، وهم مقهورون ، بل النصر لنا بمقتضى وعده والأخبار ، على قضية : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة » ولعل مراد الشيخ من عدم النصرة لظلمهم وجورهم ، لأن الظالم مقهور والمظلوم منصور ، يؤيده سبب وروده عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « **أنكم تلقون** =

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ....

= عدوكم غداً فليكن شعاركم حم لا ينصرون » ، وعن أنس قال : انهزم المسلمون بحنين فأخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوههم وقال : حم لا ينصرون فانهزم القوم ، فما رمينا بسهم ولا طعنًا برمح ، وعن شيبة بن عثمان قال : لما كان حنين تناول رسول الله ﷺ من الحصاء ينفخ في وجوههم شاهت الوجوه حم لا ينصرون . عن أبي صفرة : حدثني من سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول : أن يتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون ، وكذا في الدر المنثور حم بحق الحي القيوم .

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن مبتدأ ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ خبره

﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ في ملكه وسلطانه ، الغالب القادر ، أو لا مثل له

﴿ ٱلْعَلِيمِ ﴾ بخلقه وبأعمالهم ولكل المعلومات .

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ ساتر ذنب المذنبين .

﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ أي : التوبة ممن أخلص فيه توبة المنيبين ، وتوسيط الواو لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة . أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد .

﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ على المخالفين .

﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ صاحب الفضل على عباده ، أو ذي الغنى عن الكل ، أو السعة ، أو القدرة ، أو الغفران ، أو الخير الكثير ، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات ، وفيه إيماء إلى سبق الرحمة وغلبتها .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ ....

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : الموصوف بالصفات الجليلة التي لا يوصف بها غيره ، أي : لا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا كافي ولا شافي إلا الله .

﴿ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً ، أي مصير العباد ومرجعهم فيجازيهم بأعمالهم . ذكر إمامنا السيوطي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ حم المؤمن إلى الله المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بها حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح** » وفي رواية : « **من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء** » . انتهى .

قال النسفي : لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى فما كان له ذكر أفضل من سائر الأذكار .

روي عن عمر رضي الله افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال لكاتبه : اكتب من عمر لفلان سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، بسم الله الرحمن الرحيم إلى قوله إليه المصير ، وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ، ثم دعا وأمَّن من عنده فدعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه ، فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول : وعدني الله أن يغفر لي ، وحذرني عقابه ، فلم يبرح رددها حتى بكى ، ثم نزع فأحسن النزوع ، وحسنت توبته ، فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا إخواناً للشياطين عليه . كما في المدارك .

بِسْمِ اللهِ[١] بَابُنَا[٢] . . . .

= وعن ثابت البناني قال : كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطاً أصلي ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا إله إلا هو إليه المصير ، فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال : إذا قلت غافر الذنب فقل : يا غافر الذنب اغفر لي ، وإذا قلت قابل التوب فقل : يا قابل التوب اقبل توبتي ، وإذا قلت شديد العقاب فقل : يا شديد العقاب لا تعاقبني ، ولفظ ابن أبي شيبة : اعف عني ، وإذا قلت ذي الطول ، قل : يا ذا الطول طل علي بخير ، قال : فقلتها ثم التفتُّ فلم أر أحداً ، فخرجت إلى الباب ، فقلت : مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية ، قالوا : ما رأينا أحد كانوا يرون أنه إلياس كذا في الدر المنثور .

(١) « بِسْمِ اللهِ » الذي هو مفتاح الخيرات ، وعنوان السعادات ، ومطلع الدرجات وينبوع الكرامات ، خير مقدم أي ملابس به .

(٢) « بَابُنَا » مبتدأ مؤخر أي : باب جميع أمورنا الحسنة ، كما لا يدخل إلى الدار إلا من باب ، كذلك لا نبدأ ولا نفتح ولا ندخلن بشيء حسن إلا باسمه وحفظه ويمنه واستعانته ، ويحتمل بتقدير المضاف ، أي : مفتاح بابنا الحسي والمعنوي وبه تسد وبه نفتح فنسلم ، والإضافة للاستغراق يشمل باب الدار والقلب والقبر وباب الجنة والصراط .

عن سلمان الفارسي ، قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم** » وفي أخرى : « **يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله** =

تَبَارَكَ[(١)] ....

= العزيز الحكيم لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » ذكره الحافظ ابن كثير في الحاقة ، أو هذا الاسم مانعنا من نوائب الدارين ، كما سمي البوابون لمنعهم عن دخول الأغيار ، وعلى كل تقدير غير مخل بالتعظيم ، فتأمل .

وأما استعمال البسملة في بداية الكلام في موضع الأمر والأذان ، وعند دعوة الطعام ، بسم الله كعادة قوم مصر يكفي لا للتبرك والاستعانة ، وتذكير البسملة كذا في تتمة الفتاوى والتبيين ، ثم على ظاهره بلا زيادة ، ويحتمل مع الوصفين المعهودين بقرينة قوله :

(١) « تَبَارَكَ » والتبرك للاكتفاء ، تبارك سورة الملك بتمامها والتخصيص من بين السور لأنها المانعة والدافعة والمنجية والمجادلة والمخاصمة تجادل وتخاصم عن قارئها في القبر والمحشر تدفع وتنجي قارئها من عذاب القبر كما ورد عن ابن مسعود قال : من قرأ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر ، وكنا في عهد الرسول ﷺ نسميها المانعة ، وفي رواية : من قرأها كل ليلة لم يضره الفتانان ، وعن أنس مرفوعاً : « يبعث رجل يوم القيامة لم يترك شيئاً من المعاصي إلا ركبها إلا أنه كان يوحد الله ، ولم يكن يقرأ من القرآن إلا سورة واحدة ، فيؤمر به إلى النار ، فطار من جوفه شيء كالشهاب ، فقالت : اللهم أنا لما أنزلت على نبيك وكان عبدك هذا يقرأني ، فما زالت تشفع حتى أدخلته الجنة وهي المنجية ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ » ، وعن أنس رفعه : « لقد رأيت عجباً رأيت رجلاً مات كان كثير الذنوب مسرفاً على نفسه ، فكلّما توجه إليه العذاب =

حِيطَانُنَا(١) ....

= في قبره من قبل رجليه أو من قبل رأسه ، أقبلت السورة التي فيها ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ كالطير تجادل عنه العذاب إنه كان يحافظ علي ، قد وعدني ربي أنه من واظب علي أن لا يعذبه به ، فانصرف عنه العذاب بها » .

وكان المهاجرون والأنصار يتعلمونها ، ويقولون : المغبون من لم يتعلمها ، وهي سورة الملك ، ولذا روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ : الم تنزيل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك ، لا يدعها في سفر ولا حضر ، عن عباس أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ، قال : بلى ، قال : اقرأ تبارك الذي بيده الملك ، وعلِّمْها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له من ربها أن تنجيه من عذاب النار ، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر ، قال رسول الله ﷺ : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » ذكره القرطبي في التذكرة ، والسيوطي في الدر المنثور وشرح الصدور .

أو المراد سورة الفرقان والملك معاً ، كما يفيد الإطلاق بتمام السورتين على طريق المجاز المرسل ، وإرادة هذه اللفظ فقط بعيد لا يخفى .

(١) « حِيطَانُنَا » جمع حائط ، وهو الجدار ، والقياس حواطان كما في القاموس ، أو الحائط بمعنى الحافظ ، كما في بعض اللغة ، والجمع للإحاطة ، فالمعنى : هذه السورة سدُّنا وحجابنا من كل سوء الذي يجيء من الجوانب الأربعة ، كالجدر الأربعة ، والحصن الحصين أو حفاظنا من جميع البليات في الدارين ، أو تكاثرهم النعم وتزايد النفع =

يس(١) سقفنا(٢) كهيعص(٣) كفايتنا(٤) ﴿حم ۝ عسق ﴾(٥)

= والكرم وتمام البركات وعموم الخيرات ، وحصول المحاسن الجسمانية وحصول المعارف الروحانية ، ودوامها محيطة بجميع جوانبنا وحاوية لأحوالنا تحققاً وتفاؤلاً ورجاءً ، لما ذكر الأطراف بقي الفوق قال :

(١) « يس » أي سورة بتمامها على القول بأنه اسم لها ، أو بعلاقة الجزئية أو هذا الاسم الأعظم على أنه اسم الله تعالى .

(٢) « سقفنا » المرفوع والمحفوظ ، يعني : أن الأسرار والأنوار والخواص التي في هذه السورة ، أو في هذا الاسم يحفظنا ويسترنا عن المصائب النازلة من فوقنا ، أو البركات الظاهرة والباطنة فيها تنزل كالأمطار ، أو أن هذه السورة تكون بمنزلة السقف على الحيطان المذكورة في رفع الآفات السماوية ، ولم يذكر الأرضية إما اكتفاء باللواحق أو لقلته ، أو ما من بيت إلا وتنزيل من السماء باعتبار التقدير والتحرير في اللوح ، ويحتمل الإدراج في الحيطان فتدبر .

(٣) ﴿كهيعص﴾ أي الأسرار والبركات التي في هذه الأسماء ، الله الكافي والهادي الحي العليم الصمد الصبور .

(٤) « كفايتنا » كاف كل هم في كل سبيل ، أو في الهداية والعناية والوقاية في البداية والغاية ، أو اكتفيت بكهيعص في جلب كل خير ودفع جميع الشر .

(٥) ﴿حم ۝ عسق﴾ أي هذا الاسم ، أو السورة ، أو الحنان المنان ، أو الحي القيوم العالم بأحوالي السميع بدعائي القدير على إعطاء مرادي

حِمَايَتُنَا ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ....

« حِمَايَتُنَا » من كل ما نخافه من جميع الأطراف ، وهو خبر لقوله : حم عسق ، والإسناد مجاز وفيه مبالغة لا يخفى إلى حامينا وحافظنا من جميع البليات والمحذورات في الدارين ، واحتميت بما فيه من الاسرار من الشرور والأشرار ومن كل ما خلق الله من الأكدار ، أو بهذا الاسم كفينا ، وبهذا الاسم حمينا ، من كل سوء مع من أحبنا ، قيل : يضم كل أصبع في مقابلة كل حرف من كهيعص مبتدأ من الخنصر ، ويفتحها في مقابلة كل حرف من حم عسق ، فإن في الضم أسرار غريبة ، وفي الفتح رموز خفية ، فليحفظ تلك الأسرار والرموز فإن فيها حكماً ومصالح .

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني : يكفيك شقاقهم وخلافهم وجميع شرهم ويدفع عنك مؤنتهم ، هذا وعد من الله بالحفظ والنصر ، وكون عاقبة الأمر لهم ، والسين فيه تنفيس مع التأكيد والتحقيق ، فسينصرك عليهم ويظفرك بهم ، فيه إيماء إلى كون الوعد محقق فيه الوقوع البتة ، وإن تأخّر إلى حين ، ولأن وعد الله واقع فيه لا محالة .

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ يسمع مقال الموحدين ، فيثيبهم ومقال الكافرين فيعاقبهم ، أو يسمع ما تدعو به .

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ يعلم ما يضمرونه في قلوبهم ، وهو معاقبهم عليه ، يعني : يعلم اعتقاد الفريقين فيجزي الكل على اعتقادهم ، أو السميع دعائك العليم بحاجتك فيجيبك ، ومن الآداب : أن العبد إذا علم أن مولاه يسمع ما يقال ، ويعلم ما يختلف به الأحوال ، فإنه يكتفي بسمعه وعلمه عن انتقامه وانتصاره ، فإن كفاية الحق له أتمُّ من كفاية =

سِتْرُ العَرْشِ[١] مَسْبُولٌ[٢] عَلَيْنَا[٣]...............

= الخلق لنفسه « ثلاثاً » يعني : اقرأ قوله : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ الآية ثلاث مرات .

قيل في وجه التثليث : لأنه سنة الدعاء لكن تحتاج إلى بيان وجه التخصيص ، والأولى أن يقال لوروده لما اطلعه المؤلف فليحسن الظن به . في كتاب الفوائد : من دوام على ذكر قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) كل صباح ، بعث الله إليه أربعة أملاك يحفظونه من سائر جهاته فلا يقدر أحد يصله ، ولا يضره أحد بإذن الله ، وقيل : من قرأ كل يوم هذه الآية مئتين وإحدى عشر مرة عصمه الله تعالى عن شر الجن والإنس والآفات ، ومن قرأها عند جبار ثمانية وعشرين كفي شره .

(١) « سِتْرُ العَرْشِ » الذي لا تحرقه الرياح ولا تقطعه بواتر الصفاح ولا تنفذه الرماح ، قال في الحرز الثمين : السِّتر بالكسر : الحجاب ، وبالفتح : مصدر ستر الشيء إذا أغطيته ، وتخصيص العرش لكونه أعظم الخلق ، يعني ستر رب العرش كناية عن الحماية والعناية في الدنيا والمحشر والجنة وسقف الجنة وسقف عرش الرحم ،ن ذكر السيوطي في هيئته عن عكرمة قال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الستر .

(٢) « مَسْبُولٌ » مُرخى .

(٣) « عَلَيْنَا » على جميع جهاتنا بحيث يكون حجاباً ورفيعاً وحائلاً منيعاً لنزول المكروهات والمحذورات ، أو يسترنا من المكاره .

وَعَيْنُ اللهِ(١) نَاظِرَةٌ(٢) إِلَيْنَا(٣) بِحَوْلِ اللهِ(٤) لاَ يُقْدَرُ(٥) عَلَيْنَا(٦) ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ ﴾(٧) ....

---

(١) « وَعَيْنُ اللهِ » مبتدأ على كل حال بالحفظ واللطف والمراد .

(٢) « نَاظِرَةٌ » خبره ، وفي النيسابوري : كقول الرجل عين الله عليك ، وفي القاموس : أنت على عيني ، أي في الإكرام والحفظ جميعاً .

(٣) « إِلَيْنَا » أي : ظاهرنا وباطننا وجميع أحوالنا وأدياننا وأهلنا وأولادنا وأموالنا وأصحابنا ، فنكتفي ونستريح بنظره وعلمه ونصره وقدره عن كدّ التقدير ، وإن أراد دفع إصابة العين فليقرأ في هذا المحل سبعين مرة قوله تعالى : ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ ثم يقول : ناظرة إلينا الخ .

(٤) « بِحَوْلِ اللهِ » بقوته وحفظه وحراسته لا بقوة غيره ، قدم على المتعلق للحصر ، أو بتحويلنا من الخوف إلى الأمن ، أو بإرادة الله .

(٥) « لاَ يُقْدَرُ » بصيغة المفعول .

(٦) « عَلَيْنَا » أي لا يقدر ولا يطيق أحد من الأعداء على الإضرار بنا ، ولا يقوى على الوصلة إلينا بالشر ، ولا يُضيّق الله تعالى سبل السلام علينا ، ولا يقدر عدواً لنا تدبير الأمر في حقنا في إيصال الشر فضلاً عن الظفر ، أو يعظم الله تعالى العدو ولا يحصل له الشرف والجاه بالنصرة علينا .

(٧) ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴾ تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله ولا عاصم لهم منه ، وإثبات لما قبله من قبيل عطف العلة على المعلول ، فالله عالم بهم وبأحوالهم لا يخفى عليه شيء وقادر عليهم ، وهم

=

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾..................

= لا يعجزونه هم في قبضته وقهره وقدرته وسيجزيهم على وفق عملهم .

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي الذي كذبوه .

﴿ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ عظيم شريف كثير النفع والخير عالي القدر عند الله ، لأنه كلام رب العزة أشرف من كل كتاب ، بديع النظم وفريد المعنى .

﴿ فِي لَوْحٍ ﴾ لا يشبه ألواح الخلق قطعاً من درة بيضاء أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء ، قَلَمُهُ نور ، وعرض القلم طول ما بين السماء والأرض ، يعني : أنه

﴿ مَّحْفُوظٍ ﴾ من التبديل والتغيير والتحريف عن ابن الحكيم عن أبيه قال : حدثني في قوله تعالى : ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ هو صدر المؤمنين محفوظ ، بالرفع نعت القرآن ، أو بالكسر نعت للوح ، لأنه محفوظ عند الله من الشياطين والإنس والجن من الزيادة أو النقصان وجميع الآفات والعاهات وكل شيء ، أعلاه معقود تحت العرش وأسفله في حجر ملك كريم ، وفيه مكتوب جميع الأشياء ، القضاء والقدر والقرآن وكتاب كل نبي كريم .

قيل : إن الحجاج بن يوسف أرسل إلى محمد بن الحنيفة يتوعده ، وقال : لأفعلن بك كذا وكذا ، فأرسل إليه محمد بن الحنفية : إن الله ينظر في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى اللوح المحفوظ ، كل يوم يحيى ويميت ، ويغني فقيراً ويفقر غنياً ، ويعز به ذليلاً ويذل عزيزاً ، يربى صغيراً أو يفك أسيراً ، يفعل ما يشاء ، فأرجو أن يرزقني الله ببعض نظراته أن لا يجعل لك علي سلطاناً ، =

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

= فكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك هذه الكلمات التي قالها محمد ابن الحنيفة ووضعها في خزانته ، فكتب إليه ملك الروم يتوعده في شيء فكتب إليه عبد الملك تلك الكلمات التي قالها محمد بن الحنيفة ، فكتب إليه صاحب الروم : إنه والله ما هذا من كنزك ولا من كنز أهل بيتك ولكنها من كنز أهل بيت النبوة . ذكره السمرقندي .

وحاصله : فالله يحفظني عن الشر كله ظاهراً وباطناً في الكونين كما حفظ اللوح ، ونصره يحيطني بجميع جوانبي كما أحاط وراء القاصدين بالسوء ، وفي الفوائد : من سافر وقرأها أي : من ورائهم الآية على منزله عند خروجه منه ثلاث مرات فيحرس هو ومن فيه من الأهل والمال والمتاع والولد من كل آفة ، وإذا قرأتها على نفسك وعلى أولادك حرست وإياهم من كل شر بإذن الله ، وقال غير واحد من المصنفين : إذا أذن خلف المسافر لابد أن يرجع إن شاء الله ، وفي الدر المنثور عن علي رضي الله عنه : من أراد سفراً فأخذ بعضاً دنى منزله ، فقرأ قل هو الله أحد إحدى عشر مرة كان الله له حارساً حتى يرجع انتهى ، وقد جرب والحمد لله رب العالمين .

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ ﴾ لأنه لا يضيع من حفظه بخلاف غيره ، وحفظه بلا عوض ولا غرض ، وإذا أراد الله حفظ أحد من خلقه لا يقدر سواه من المخلوقات الإضرار به

﴿ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ أي أرحم من كل رحيم فنرجو أن يحفظنا برحمته . روي أن يعقوب عليه السلام لما قال ذلك قال الله تعالى : =

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

لأردن عليك كليها بعد ما توكلت علي . « ثلاثاً » : يعني يقرأ قوله تعالى : ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ثلاث مرات بناء على ما مر .

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ﴾ ولي نعمتي ويتولاني بالنعم والتفضل بالملك الباقي عن الملك الفاني ، أي : القائم بإصلاح أموري الدنيوية والأخروية ، وناصري وحافظي ومتولي أمري بالتوفيق والعصمة .

﴿ ٱللَّهُ ﴾ الواجب الوجود الفائض الجود الملك المعبود له الركوع والسجود ، لا ولي لي سواه في الوجود فلا أتولى غيره .

﴿ ٱلَّذِي نَزَّلَ ﴾ بواسطة الملك على رسوله أو حبيبه المجتبى .

﴿ ٱلۡكِتَٰبَۖ ﴾ كله أو القرآن .

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الذين صلحت أحوالهم وأعمالهم عند الله تعالى ورضي عنهم واستحقوا الثناء عليهم ، أو القائمون بحقوق الله وعباده ، ولذا قال : لا ينبغي الجزم به في حق شخص معين من غير شهادة الشارع له به ، وإنما يقال هو صالح في ظني خوفاً من الشهادة بما ليس فيه ، كما في الشرنبلالي ، أي : يتولاهم بالتوفيق واللطف والحماية والعناية في كل حال وآن ، وقال بعض العارفين : من أمارات ولايته للعبد أن يديم توفيقه حتى إذا أراد سوءاً وقصد محظوراً أعصمه من ارتكابه ، ومنها : أن يرزقه مودة في قلوب أوليائه ، « ثلاثاً » يعني : إذا وصل إلى هنا يكرر ثلاث مرات .

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.........

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ مما سواه جلباً ودفعاً حضراً وسفراً ديناً ودنيا وعقبى ، أو حسبي عند جميع الشدائد والمضائق ، وفي دفع العلائق والعوائق ، وكفايته تعالى عامة لجميع الأحوال والأشغال ، وأعظمها الوصول إلى مقام التسليم وترك الاختيار راجعاً إلى ما يختار في حقك من المنافع والأكدار ، وهذا مقام عزيز لا يصل إليه إلا من وفقه الله الغفار ، فنرجو ونتوسل بجميع الوسائل المرضية أن يذيقنا قطرة من هذه البحار فله الحمد في الليل والنهار .

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا مؤثر في شيء من الأشياء ولا كافي فيه ، لا نافع ولا دافع ولا مهرب ولا مطلوب ولا محبوب في الكونين إلا هو ، كأنه ذكر في مقام التعليل للمذكور .

﴿عَلَيْهِ﴾ لا على غيره ، فإنه القادر على ما يشاء ، فإن من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلاً عن القدرة .

﴿تَوَكَّلْتُ﴾ التجأت واستندت ووثقت في جميع أموري كلياً وجزئياً ، الأمر كله له لا راد لقضائه ولا دافع لحكمه ، فيجب على العبد في كل الأمور التوكل على الله تعالى لا على غيره ، ولأنه يثني على المتوكل ويرضى عليه ويحسن ثوابه ، كما قال في كتابه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ، لا أرجو ولا أخاف فيما آتي وأذر إلا إياه ، وكل من توكل عليه يغنيه عن مقارعة أبواب غيره ، قيل : حقيقة التوكل ترك الأسباب ، وقال الحسن : التوكل على الله الرضى بكل ما قضى الله .

وقيل : هو أن لا تطلب لنفسك ناصراً غيره ، وأن لا تعصي الله =

وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ..........................

من أجل رزقك ، ولا لعملك شاهداً سواه ، قال إمامنا القشيري : أول التوكل الثقة بوعده ثم الرضاء باختياره ، ثم نسيان أمورك بما يغلب على قلبك من أذكاره ، وقال : بداية التوكل سكون السر عند حلول الأمر ، ونهايته التفويض وهو استواء الحلو والمر والنعمة والضر ، وقال : هو إسقاط التدبير وترك منازعة التقدير ، والثقة بوعد الموعود عند عدم الوجود ، وتبين ذلك بالاضطراب عند عدم الأسباب ، وقيل : هو سكون القلب بمضمون الرب .

والحاصل : مشهود جريان التقدير يخفف على العبد كل عسير ، وفيه تنبيه أن لا ملجأ في الشدائد ولا مرجوّ في الرخاء إلا هو ، فلا وجه للإشراك والتعمق في الأسباب ، بل لابد لتوجيه النفس إليه بالكلية ، وقصر الابتهال والدعوات لمن هو الضار النافع القادر المطلق والغني المحقق ، وقد قال القشيري : تعليق القلب لشخص أو سبب مضاهٍ لعبادة الأصنام ، من حيث إنه تضييع الوقت فيما لا يعنيه وقته ، وتمحيق الزمان فيما لا يجدي على صاحبه بشيء ولا يعنيه ، ومن ضيع فيما لا يعنيه وقته استجلب من الله في التحقيق مقته .

﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ﴾ خالقه ومالكه وحافظه ، وهو المحيط بالموجودات وأولها ، لِمَا ثبت أنَّه خُلق قبل السموات والأرض بعد النور المحمدي والماء ، والتسمية بالعرش لارتفاعه ، وبالعظمة الأعظم من كل شيء ، وإضافته للتعظيم لأنه منزه عن المكان ، وإظهار تفرده بالخلق والتصرف وتخصيص الربوبية به من بين الخلائق لكونه أدل على القدرة الكاملة .

﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾[١] (بِسۡمِ الله[٢] الَّذِي[٣] ....

(١) ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ قرأ بالجر أو الرفع صفة للمضاف أو المضاف إليه ، وفي الثانية مبالغة وبيان لعظمته كما لا يخفى ، وهو اسم أعظم على ما روي عن زين العابدين أنه روى في المنام ، وكفاك ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : من قال كل يوم سبع مرات : فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو ، كفاه الله ما أهمه من آخرته ودنياه صادقاً أو كاذباً ، وفي رواية : لم يمت هدماً ولا غرقاً ولا حرقاً ولا ضرباً بحديد ، وعن ليث ابن سعد عن أبي معسر : أن رجلاً انكسرت فخذه فأتاه آت فقال له : ضع يدك حيث تجد ألمك فقل : فإن تولوا فقل حسبي الله فصحت فخذه وعوفي ، ذكره اليافعي وغيره .

وفيه إرشاد للعبد إلى الإقبال على رب الأرباب مع تجريد العلائق عما سواه ، لأن القادر على خلق السرائر الأعظم وتدبير جسم الأقدم مع الحماية عن الزوال أقدر على المنع والدفع عن الخائف لما يضره في الدارين ، وعلى إعطاء ما يصلحه في الكونين ، والتفصيل بما لا مزيد عليه في شرحنا للحزب النووي والمسمى بفتح القوي ، والحمد لله العلي .

(٢) « ثلاثاً » : أي قراءة هذه الآية ثلاث مرات . أبتدىء « بِسۡمِ الله » في جميع حالاتي الحسنة أو جميع الأمكنة ، في جلب كل الخيرات والبركات ودفع جميع المضرات صباحاً ومساءً .

(٣) « الَّذِي » صفة لمضاف إليه ، وما قيل في وجه منع كونه صفة للمضاف فليس بشيء ، إذ التأويل ممكن يظهر بالتدبر .

لا يَضُرُّ[١] مَعَ اسْمِهِ[٢] شَيْءٌ[٣] فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ[٤]

---

(١) «لاَ يَضُرُّ» من الثلاث في كل حال وزمان ومكان في الدنيا والآخرة .

(٢) «مَعَ اسْمِهِ» العظيم أي مع الملابسة والمقارنة والاستعانة باسمه ، أو مع التوفيق لأسرار اسمه . بالوصل ، والعوام يقرؤون بالقطع ، في جامع الشروح للشاطبي : إن إثبات همزة الوصل حال الوصل لحنٌ ، ثم المعيّة عامّة سواء بالتعلق أو التخلق والذكر والفكر والبلع والحمل والشرب بالباء ولو بالوضع والمسح وغير ذلك ، فعليك بالصدق والاعتقاد ومراعاة الشروط المعتبرة ، لأن في كل اسمه تعالى بركات وشفاء وخواص لا تحصى ، على أربابه لا تخفى ، وإجراء الكلام على العموم أفيد وأحرى ، فالتخصيص بالذكر والحمل على الأغلب ليس بجيد ، بل تكلف بلا وجه ، والإضافة للاستغراق ، أو اسمه المعهود ، أو كل اسم من أسمائه الحسنى .

(٣) «شَيْءٌ» بالرفع فاعل للفعل . من الثقلين وجميع المكروهات والمؤذيات من المخلوقات ، على ما يفيده النكرة في سياق النفي .

(٤) «فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ» ظرفُ لا يضر ، أو صفة للشيء ، أو زيادة لا لتأكيد النفي ، فالتخصيص بها للظهور في بادي النظر ورأي العين ، فهو كالتمثيل للمعقول بالمحسوس ، ولأن الحس لا يتجاوزهما ، ويحتمل أن الإعادة للإعادة والاستقلال بطريق عطف الجملة ، أي : ولا يضر مع اسمه شيء في السماء ، وقال بعض المحققين : وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من =

وَهُوَ السَّمِيعُ[١] العَلِيمُ)[٢] ....

= الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا ، انتهى . أو للتنصيص على شمول النفي بكل منها ، واللام يحتمل العهد والجنس ، ولذا استغنى عن الجمع بالأفراد ، أي : الكائنات السفلية والكائنات العلوية ، فيشمل ما بينهما وفيهما ، بل التحقيق : أن المراد بها العموم بجميع ما في الكون من دائرة الوجود والإمكان ، أي شيء في جميع العالم والتقيد بها عن جميع العالم ، لأنها قطراه مع أنه أوجز وأشمل منها .

وفيه تنبيه على أن بركات اسمه الشريف محيطة بما في الوجود ، وإنما سواه لا يضر ولا ينفع في كل زمان ومكان ، كما لا يثقل مع اسمه شيء في الميزان ، بل هو أثقل من السموات السبع والأرضين السبع ، كما في حديث : قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ، ويحتمل المعنى : من أهل الأرض ولا من أهل السماء ، وقيل : حق الثاني التقديم لعلوه ، لكن تقدم إما للترقي ، ولأن الداعي من أهل الأرض ، وأكثر المضرات فيه بحسب الظاهر ، فالاهتمام بدفعها أتم .

(١) « وَهُوَ السَّمِيعُ » لدعواتنا .

(٢) « العَلِيمُ » بحاجاتنا ، أو يسمع الأقوال ويعلم الأحوال عيبها ورشدها وباطلها وحقها ، ويجري كلٌّ على وفق علمه وقوله وعقده ، والجملة عطف على الصلة ، ولا يضر تخلف الجملتين ، وقد ورد في حديث الترمذي وأبي داود وابن ماجه : « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر الخ ثلاث =

وَلاَ حَوْلَ(١) وَلا قُوَّةَ(٢) إلاَّ بِـاللهِ(٣) ....

= مرات فيضره شيء » وفي رواية : « لم تعبه فجأة بلاء » وقد قيل : إنه الاسم الأعظم ، « ثلاثاً » : أي يكرر ثلاث مرات .

(١) « وَلاَ حَوْلَ » في دفع المضار من النفوس والأموال والأديان والعقول والإنسان إلا بحماية الله .

(٢) « وَلا قُوَّةَ » ولا قدرة على جلب المنافع على هذه الأشياء إلا بعناية الله تعالى ، أو لا خلاص في الأمور الدنيوية والأخروية من كل شرور ولا قوة ولا وصلة إلى كل سرور إلا بمعونة الله وتوفيقه ، وخلاصته : لا تحول لأحد من المعاصي إلا بتحويل الله ، لأنه محول الأحوال ولا قوة لأحد على أمر من الأمور إلا بتقوية الله وأقداره ، والتي منه حصراً ولا التجاء إلاّ إلى الله ، وقصر الاتكال على عنايته وحوله وقوته وقطع الاعتماد عن كل شيء إلا من وقايته ورعايته ، ثم قد قيل : إن الرياء أو ما يحدث في باطنه من إحسان العمل يسمى حولاً ، ثم يحس به في الأعضاء من طاقتها له يسمى قوة ، ثم ما يظهر عليه من العمل بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ، ولهذا كان لا حول ولا قوة .

(٣) « إلاَّ بِاللهِ » كنز من كنوز الجنة ، لأنها تدل على رجوع الأمور كلها إليه تعالى ، يعني : فيه تفويض أمور الكائنات مع قطع النظر عن المخلوقات إلى الله فاطر السموات ، قيل : وهو من الكنوز المعنوية العرشية وذخائر الجنة العالية العلوية ، قال ابن حجر : هي كلمة أنزلت من الكنز الذي تحت العرش ، وهو سقف الجنة على ما ورد ، أو كالكنز في لطافته وحمايته من أعين الناس ، =

العَلِيِّ[١] العَظِيمِ[٢]

= عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « **لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمّ** » أفاد الحديث أنه دواء معنوي ، وتأثيره قوي للداء الدنيوية والأخروية أقلها جنس الهم المتعلق بالدين أو الدنيا ، أو همّ المعاش وغمّ المعاد ، كذا قاله علي القاري ، وقيل : ولها تأثير في معانات الأشغال الصعبة وتحمل المشاقّ والدخول على من يخاف شره ، وكان مكحول من التابعين مفتياً بالشام ولا يفتي حتى يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، عن صفوان قال : ما نهض ملك من الأرض يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ذكره في الدر .

(١) « **العَلِيّ** » بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد .

(٢) « **العَظِيم** » ذو العظمة والجلال والكمال « ثلاثاً » : وجه التثليث عملاً بالإكثار الوارد فيه ، وأقله الثلاث ، ولما روي عن علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **قل إذا أصبحت ثلاثاً وإذا أمسيت ثلاثاً بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها شفاء من تسعة وتسعين داء أدناها الهم** » ، ذكره السيوطي في داع الفلاح . وقد ورد في آخر حديث : « **من أبطأ رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** » كما في حصول الرفق له ، وعن أنس قال رسول الله ﷺ : « **ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفته دون الموت** » وعن زياد ابن سعد قال : كان ابن شهاب إذا دخل أمواله قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وكان مالك إذا دخل بيته قال : ما شاء الله ، قلت =

. . . .

= لمالك : لم تقول هذا ؟ قال : ألا تسمع الله يقول : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الآية . أي : لو قالها الرجل سلمت من الآفات ، فكان لا يقوم ولا يقعد إلا قالها ، حتى أنه كتبها على باب داره وقال : جنة الرجل داره .

وعن ابن ميسرة قال : رأيت على باب وهب ابن منبه مكتوباً ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وعن جرير قال : خرجت إلى فارس فقلت : ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، فسمعني رجل فقال : ما هذا الكلام الذي لم أسمعه من أحد منذ سمعته من السماء ، فقلت : ما أنت وخبر السماء ؟ قال : إني كنت مع كسرى فأرسلني في بعض أموره فخرجت ، ثم قدمت فإذا شيطان خلفني في أهلي على صورتي ، فبدا لي فقال : شارطني على أن لي يوم ولك يوم وإلا أهلكتك ، فرضيت بذلك ، فصار جليسي يحادثني وأحادثه ، فقال لي ذات يوم : إني ممن يسترق السمع والليلة نوبتي ، فقلت : فهل لك أن أجيء معك ؟ قال : نعم ، فتهيأ ثم أتاني فقال : خذ بمعرفتي ، وإياك أن تتركها فتهلك ، فأخذت بمعرفته ، فعرج حتى لمست السماء ، فأذن قائل يقول : ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله فسقطوا لوجوههم وسقطت ، فرجعت إلى أهلي فإذا الشيطان يدخل بعد أيام ، فجعلت أقول : ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله فيذوب لذلك حتى يصير كالذباب ، ثم قال لي : قد حفظته فانقطع عنا . روي أن الكلمة التي تزجر بها الملائكة الشياطين حين يسترقوا السمع ما شاء الله ، ذكره السيوطي في تفسيره .

. . . .

ـــــــــــــــ

▪ وفي الاختتام : اختلافات النسخ الكثيرة ولم نقف على أصل ، ولذا تركنا ذكره في شرحه .

ثم أراد الختم بالتصلية استجلاباً للقبول ، لأن الله تعالى أكرم من يدعو بين الصلاتين فقال : وصلى الله صلاة كاملة دائمة ، لأنها لا تكون إلا منه تعالى ، ولذا أسند إليه تعالى ، إذ المصلي في الحقيقة هو الله تعالى ، ونسبتها إلى العبد مجاز ، وكذا المراد بالصلاة المأمورة في الآية الكريمة سؤالها من الله تعالى ، كما صرح البعض .

على سيدنا سيد الموجودات بأكمل الحالات ، ونبينا إمام الأنبياء وتاج الأصفياء ، ومولانا وولينا وناصرنا ، وقيل : حبيبنا ومتولينا حافظنا ومصلح أمورنا ، وقيل : والينا وملكنا محمد الممدوح بالخصال الحميدة الكثيرة ، وعلى آله وأتباعه وصحبه المشرفين بصحبته الشريفة ، والتصلية عليهم تبعاً وبالترضية إذا ذكروا ، وسلَّمَ ـ بفتح اللام ـ ماض معطوف على صلى ، تسليماً : أكده بالمصدر امتثالاً لظاهر الآية ، كثيراً لا نهاية لها ، والحمد لله رب العالمين خالق الخلائق ومصلحها وسيدها .

قد استراح قلم التبييض عن التسويد ، ومن الله التكميل بالقبول والتسديد ، وله الحمد على جميع نعمه بلا غاية ولا تحديد ، ونصلي على نبينا صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، صلاة تكفينا جميع المهمات وتعصمنا بها في الحركات والسكنات من كل ما يحول لنيل المراتب السنيات ، وتسخر لنا بها كل الكائنات وتنصرنا بها مع الكفايات في جميع المقامات ، وتفتح لنا بها أبواب خزائن

. . . .

= الكمالات ، وتغفر لنا بها العثرات وترحمنا بها في جميع الحالات ، وتملكنا بها كنوز الأرزاق وتطهرنا بها من جميع سوء الأخلاق ، وتهدي لنا بها من الضلال وتحمي بها إيماننا عن الزوال ، في جميع الحال سيما عند الارتحال ، وتبلغنا بها خير الآمال ، وتنجينا بها من الظلمة والظلمات وتهب لنا بها الرياح الطيبات ، وتحملنا بها حملاً مكرماً عند الحاجات ، وترزقنا بها العافية مع السلامة الكافية والراحة العافية ، وتكون لنا بها صاحباً في المقام والرحال ، وتعيننا بها على ذكر الجميل ، وتخضع لنا بها كل جبار عنيد ، وتهيىء لنا بها كل أمر رشيد ، وتهون بها علينا كل أمر شديد ، وتصرف عنا بها الأكدار ، وتدفع بها عنا الأعداء ، وتضع عنا بها الأوزار ، ولا يضر بها شيء من الأشياء في الأرض ولا في السماء ، وتحفظنا بها عن جميع الاسقام ، وتميتنا بها على ملة الإسلام ، وصلاة توجب الكمال والقبول ، وتوصل إلى رؤية الجمال والرضا وغاية المأمول ، وعلى آله الواصلين بها للسعادة الأبدية ، وصحبه المكرمين بها للكرامة السرمدية ، وعلى جميع الأنبياء الذين هم الوسائل لقبول خير الدعاء في الصبح والمساء ، والحمد لله على جميع النعماء .

☆☆ ☆☆ ☆☆